سلامة موسى

الدنيا بعد ثلاثين عاماً

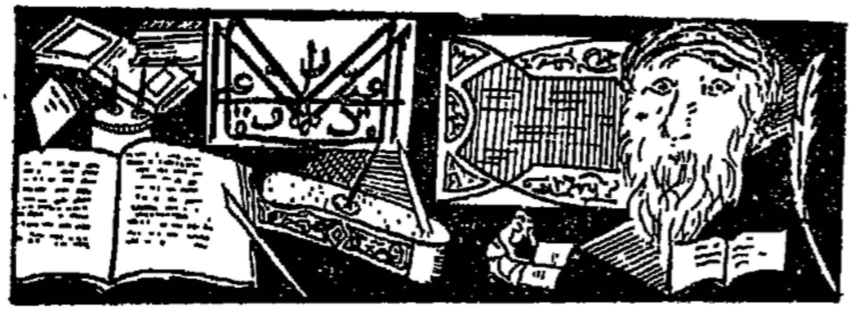


الدنيا بعد ٣٠ عاماً

سلامة موسى

الدنيا بعد ٣٠ عامًا

سلامة موسى للنشر والتوزيع
تراث من الكفاح الهادف
ص.ب ٩١٢ القاهرة



كتب التكهنات

إذا تقلقلت القواعد الإجتماعية وتراخت الروابط ، كما هو الحال فى أزمنة الإنتقال، كثر التكهن عن المستقبل. ومما لا شك فيه أن هذا التقلقل يبدو الآن فى أوربا والولايات المتحدة : فإن المبادىء الأساسية للحكومة الديمقراطية والحكم البرلمانى وحقوق المرأة والسعى الحر ، وغير ذلك مما نشأنا على أن نحترمه ونعتقد أنه غاية يجب على الأمة المتمدنة أن تتوخاها ، هذه المبادىء قد تزعزعت فى بعض البلاد الأوربية كما يتضح من قيام الحكومات

الشيوعية والفاشية ومن الدعايات المتناقضة التي يؤمن بها الملايين من المتمدنين.

ويكفي القارىء أن يتأمل خبرين صغيرين ذكرتهما الصحف. الأول أن « هوى لونج » عضو مجلس الشيوخ في الولايات المتحدة قد قتل بيد أحد خصومه. وهذا الشيخ كان يدعو إلى إيجاد نظام لمنح كل إنسان في بلاده ... جنيه في العام: والخبر الثاني أن المستر «دوجلاس» وهو اقتصادي انجليزي قد دعي إلى ولاية البيرتا (في كندا) لكي يبتكر نظاماً مالياً لإيجاد دخل عام لكل فرد من السكان. وهذه آراء تدل بغرابتها على ما أشرنا إليه من التقلقل الإجتماعي. فإن الإيمان بالقواعد الإقتصادية القديمة قد تزعزع. ونحن الآن في طور الإنتقال إلى أنظمة تقع لنا في الخيال ولا نستطيع التفكير فيها إلا عن طريق الحدس والترجيح، مستضيئين بالعوامل الراهنة التي تؤثر في حياتنا المنزلية والصناعية والمدنية

وفي عصور الإنتقال تكثر التكهنات عن المستقبل. وقد مر بالعالم الاوربي عصر انتقال مدة النهضة الكبرى. فألف كل من « توماس مور » و « اللورد بيكون » طوبى، أي هيئة اجتماعية، يتخيل أنها المثل الأعلى، وأنها سوف يصل إليها الناس عندما يبلغون أقصى ما يمكنهم من الرقي. وإنما كان هذان المؤلفان يتكهنان لأنهما شعرا أن الأرض تحت أقدامهما لم تعد في ثباتها السابق، وأن الآراء الجديدة التي كانت تقلق أوربا

من النقل إلى العقل ، أو من تقاليد القرون الوسطى إلى النظر المنطق أو العلمي ، جعلت المستقبل أغمض مما كان ، إذ خرج عن رسم التقاليد وبات معرضاً للآراء والمخترعات والمبتكرات . ولذلك وضع توماس مور وبيكون كتابيهما للتكهن، وقد حسن ظنهما بالدنيا والناس فتخيلا المحاسن دون المساوىء

وفى القرن الماضى شعر جمهور أوربا شعوراً عميقاً بقوة العلم ، وبأنه قادر على تغيير الدنيا . فكان أن قام « جول فيرن » بقصصه العلمية التى تخيل فيها الطيران، والسير تحت الماء ، إلى آخر ذلك مما تحقق أكثر منه . وفى بداية هذا القرن رأينا « ه.ج .ولز» يتابع التكهنات العلمية التى شرع فيها جول فيرن . بل رأينا « برنارد شو » يضرب أو يخبط فى المستقبل البعيد ، فيتخيل الناس وهم يعيشون بعد ٣٠٠٠ سنة

ومنذ بضع سنوات ظهرت قوة الآلات ، بل برزت هذه القوة وأصبحت تأخذ على المفكرين طرق التفكير فى الإقتصاديات أو الإجتماعيات . فرأينا « كاريل كابيك » يتخيل المستقبل فى تشاؤم مظلم . حتى لقد اخترع لفظة « روبوط » للرجل الآلى الذى يعمل مسيراً كالعبد ، بل أسوأ من العبد ، وذلك لتحكم الآلات فى الإنسانية القادمة . وقد سارت هذه اللفظة ودخلت جميع اللغات المتمدنة إلا لغتنا التى تستنجس الألفاظ الأجنبية

وقبل سنوات أخرج الأديب الإنجليزى « الدوس هوكسلى» كتاباً على هذا النمط اتجه فيه إلى بحث التأثير الذى تحدثه التربية

السيكلوجية فى أبناء الأجيال القادمة ، وكيف يمكن بهذه التربية ان تقسم الأمة طوائف كأنها سلالات منفصلة

لقد زال عنا الاطمئنان ، ولن يثق واحد بأن الحال التى عاش فيها فى الخمسين من السنين الماضية سوف يعيش فيها أبناؤنا فى الخمسين من السنين القادمة . وقد رأينا فى حياتنا من التغيير فى الإجتماع والإقتصاد والحكومة والمخترعات ما يثير فى أذهاننا هذا السؤال ، وهو : كيف يعيش أبناؤنا ، وأى تغيير سيطرأ على الدنيا بعد ٤٠ أو ٥٠ سنة ؟

قبل شهرين كتبت أدعو إلى العناية بالطائرة الجديدة التى اخترعها الطيار عثمان حمدى، والتى لا تزيد تكاليفها على ١٥٠ جنيه. وفى هذا الأسبوع قرأت عن طائرة اخترعها رجل فرنسى وطار بها فى انجلترا ، ولا تزيد تكاليفها على ٧٠ جنيهاً . وليس بعيداً أن تعود الطائرة كالبسكليت

فأنظر إلى التأثير الذى يحدثه مثل هذا الإختراع .. فإن أقل ما فيه أنه سينتقل السكنى من المدن إلى الريف ، أو إلى شواطىء البحار . إذ لماذا أرهق نفسى بالسكنى فى القاهرة إذا كانت ٢٠ دقيقة تكفينى لأن أطير إلى مكان مثل رأس البر أو أبى قير لكى أعيش فيه

ثم أذكر أيضاً هذا الإعلان الذى أذاعه وزير البريد العام فى بريطانيا حين قال ان التلفزة ستعمم فى أواخر هذا العام أو أوائل العام المقبل

وأضف إلى هذا التجارب الإجتماعية والإقتصادية التى سيقوم بها موسولينى وهتلر وروزفلت وعصبة الأمم

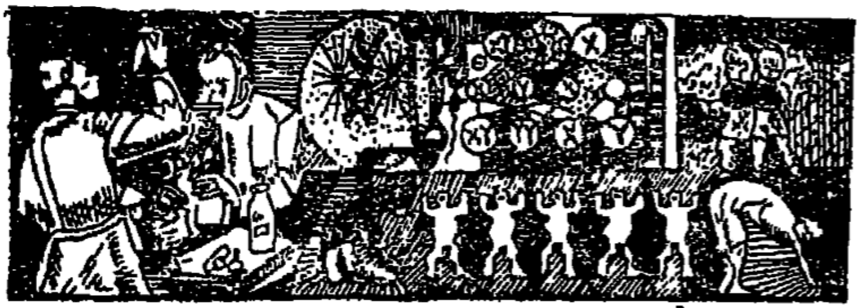
ان الدنيا تتغير . وكل اختراع جديد فى الآلات يؤثر فى اقتصاديات الأمة ، كما أن التغيير فى الإقتصاديات يستتبع انقلابات أخرى فى الشؤون العـــامة . ثم هناك التقدم العلمى فى السكيمياء التى أوجدت لنا الريون ، وهو نسيج سوف يمحو زراعة القطن من العالم أو يحمل الناس يزرعونه لزهره فقط . ثم أنظر إلى التقدم فى الآراء التى تتعلق بالتربية أو الصحة أو النقد أو غير ذلك

ولذلك يجب أن نقول ان عصرنا الحاضر هو أليق العصور لتأليف الكتب فى التكهن عن المستقبل ، لأن كل شيء قدأصبح فى البوتقة . ولا يمكن أن يكون المتكهن نزيهاً ، لأنه يضطر إلى توجيه القارىء . إذ هو ، من حيث لا يدرى ، سيدافع عن نظرياته ، وهو فى هذا الدفاع سيوجه القارىء إليها . ونحن عندما نقرأ تكهنات ولز عن الدنيا بعد ألف سنة ، أو تكهنات شو بعد ٣٠٠٠ سنة ، إنما نقرأ ما يحب كل منهما أن يراه محققاً

والتكهن سهل حين يضرب المؤلف عن المستقبل البعيد ، لأنه عندئذ يمكنه أن يتخلص من ظروف البيئة الحاضرة . أما حين يتكهن عن الهيئة الإجتماعية ، كيف تعيش بعد ٤٠ أو ٥٠ سنة ، فإنه بحاجة إلى أن يلتزم العوامل البارزة فيها ، أى العوامل التى لا يمكن أن تمحى فى هذه المدة . وهو أن يكتب تاريخ

المستقبل فى حدود الظن الذى يقرب من الترجيح

وقد أكثرنا من قراءة التاريخ للعصور الماضية. فلماذا لا نقرأ التاريخ للعصر القادم ، وخاصة القريب منه ، ونعرف ماذا يحدث لنا وللعالم بعد نصف قرن مثلا ؟



سيطرة العلم القادمة

السائر فى شوارع القاهرة بالليل يجد إعلانات مضيئة بالألوان المختلفة ، وهى زاهية إلى حد الإزعاج . وهذا الضوء الجديد هو غاز النيون قد سلطت عليه شرارة كهربائية فأضاءته . وفائدته تكاد تكون مقصورة على الإعلانات ، ولكن لن يطول الزمن قبل أن يستعمل للإضاءة العامة . وقد استعمل بالفعل فى بعض المصابيح

والعالم الذى استغل غاز النيون للإعلانات وللاستصباح

هو « جورج كلود » الفرنسى . وقد أراد هذا العالم أن يدخل مجلس النواب فرشح نفسه للإنتخابات ، وقصد إلى دائرته ومعه شحنة أتومبيل كبير من الأجهزة العلمية ، ثم وقف يخطب فقال :

« أنا لا أعرف شيئاً عن السياسة . وعندى أن ما تحتاج إليه فرنسا ليس هم رجال السياسة المشبعين بالروح الحزبى ، بل هم الكيماويين الطبيعيين والمهندسين والعلماء والخبراء بالآلات التى تطبع حضارتنا بطابعها . انتخبونى وأنا أحاول أن أجعل فرنسا أعظم مما هى بالعلوم والهندسة. وأنظروا إلى كيف أعرض عليكم هذه الأجهزة العجيبة »

ثم شرع يعرض عليهم عجائب علمية ، ويشرح لهم قيمتها إذا هى استعملت فى المدن والحياة العامة. ولكنه سقط فى الإنتخابات، وتغلب عليه مرشح آخر يجيد الكلام فى ذلاقة عن الوطنية والحرب وألمانيا وتاريخ فرنسا إلخ

وهذه الحادثة هى رمز للحال السائدة فى الدنيا. فإن السياسيين يحولون دون الإنتفاع بالعلوم ويمنعون العلماء من تولى الشئون العامة . مع أن الحضارة القائمة ، بمحاسنها ومساوئها وأزماتها ، هى ثمرة العلوم الحديثة . ووضع السياسيين فى موضع الزعامة لهذه الحضارة هو بمثابة وضع الأطفال لإدارة الآلات الضخمة. وهو وضع يؤدى إلى الفوضى

أو ليس العالم المتمدن الآن فى فوضى ، تهد كيانه أزمة اقتصادية مضحكة فى أصولها مبكية فى نتائجها . يجوع الناس فيها

من كثرة الخيرات ووفرة الإنتاج !. وقد اخترع العلماء الغازات السامة فأخذها السياسيون لكي يستعملوها فى الحرب للدفاع عن الوطنية والاستعمار والفاشية والشيوعية إلخ

ولو كان العلماء هم الذين يسيطرون على الحكومات لأدركوا، لأقل تأمل، أن المخترعات فى الكيمياء والطبيعيات قد تقدمت كثيراً وأنه يجب أن ترافقها مخترعات فى الإجتماع. وبعد تفكير منظم، لا يحتاج لإلقاء الخطب وذلاقة اللسان، كان يمكن تنظيم الإستهلاك على قدر الإنتاج. وتعود الدنيا فى خير. وكانت عندئذ تخترع للناس وطنية أخرى غير وطنية الحدود، فتزول الحروب

ولكن الجماهير التى تنتخب حكامها، لا تفضل ذلك الجمهور الباريسى الذى رفض انتخاب «جورج كلود» وآثر عليه مهذاراً فى السياسة وإلقاء الخطب. ولا بد من أن تربى هذه الجماهير تربية علمية جديدة تجعلها تقدر العلم وممكناته البعيدة فى إصلاح الهيئة الإجتماعية. ولكن الجو العلمى لا يزال بعيداً جداً عن الجماهير، إذ لا يكاد يكون له أثر إلا القليل جداً فى الصحف والمدارس. وما زال الإهتمام عظيما بهذه المجموعة من القصص والحكايات والمواعظ والخرافات والقصائد التى يطلق عليها اسم الأدب، وهو شغل البطالين الذين يتعلقون بالنوادر والنكات والقيل والقال. وهذا الأدب هو الذى تعنى به الصحف، لا اعتقاداً بفائدته لجمهور القراء، بل لأنه يشبه أخبار الجرائم

والتحقيقات فى المحاكم والقيل والقال عن الأوانس والسيدات . وهى أخبار قد ثبت لرواتها أنها تجذب أكبر عدد من القراء .

ولكن هذه الحال لن تدوم . ورويداً رويداً يعرف الجمهور قيمة العلوم ، وسوف يطلبها بإلحاح من الصحف . وقد أخذنا نشم روائح الجو العلمى فى هذا الشغف بأجهزة الراديو . فإن فى القاهرة الآن طلبة صغاراً لو شاء أحدهم أن يؤلف كتاباً عن الراديو لفعل . وهو كتاب قيم مع ذلك

والقارىء للمجلات الأوربية، وخاصة تلك المجلات الأمريكية، يرى أن للعلوم قيمة تزداد سنة بعد أخرى . بل فى واشنطون نشرة يومية للعلوم . وهذا هو الجو الذى نريد أن يسود بلادنا . وظنى أننا بعد سنوات سنرى الفرق بيننا وبين الأمم الأوربية كبيراً جداً ، لأن النهضة العلمية عندهم، مع أنها لا تزال مبتدئة ، ضعيفة ليس لها وجود عندنا . ونهضتنا الحاضرة فى مصر ، أعنى النهضة الثقافية ، هى نهضة أدبية منحطة قوامها الكلام الفارغ عن النظامين فى الأدب القديم . ومن شأن الأدب أن ينظر للوراء ، ومن شأن العلم أن ينظر للأمام ، أى للمستقبل

فيجب أن نهيء بلادنا بالصحف والمدارس لهذا الجو الجديد الذى يلحقنا بالعصر العلمى الحديث . ومن المبالغة فى الطمع أن نطلب صحيفة يومية للعلوم ، فإن الوسط الحاضر غير مهيأ حتى لصحيفة أسبوعية ، إلا إذا اختصت لأجهزة الراديو أو خصصت هذا الموضوع بمعظم صفحاتها

ولكن مما لا شك فيه أننا فى غضون الثلاثين أو الأربعين من السنين القادمة سنرى هذا الجو العلمى قد تسلط علينا وغمر عقولنا وثقافتنا . ولن يكون إنشاء جريدة يومية للعلوم بعيداً عندئذ . فإن حل المسائل القائمة من فقر ومرض وبغاء وجرائم سيتوقف على العلوم ، وليس على السياسة . وسيكون موضوع الإنتخابات البرلمانية يوماً ما تعميم الكهربائية فى المزارع ، أو تزويد الفيتامينات لكل أسرة ، أو بناء المنازل بمادة جديدة وإعطائها بالمجان للأسر ، أو التعقيم ، أو الطيران ، أو نحو ذلك مما هو من اختصاص العلماء

وإذا كان « جورج كلود » قد خاب فى الإنتخابات ، فإنه هو أو غيره ممن يشبهه فى النزعة العلمية سوف ينجح. ولن نتخلف نحن كثيراً فى مصر عن تهيئة أنفسنا لهذه الحال، لأننا لا نستطيع التخلف ، إذ لا يمكننا أن نرضى بالإنتحار . والأمة التى تهمل العلوم هذه الأيام تنتحر انتحاراً أكيداً لا غش فيه



التكهن عن مستقبل الزراعة

أظن أن المتأمل لحال الزراعة فى مصر ، مع مقابلتها إلى التطور الصناعى والزراعى فى أنحاء العالم ، لا يسعه إلا الإعتراف بأنها سوف تتغير تغيراً كبيراً فى مدى الأربعين أو الخمسين من السنين القادمة . وهذا إذا لم يطرأ هذا التغيير قبل هذه السنين . ففى السنوات العشرين الماضية رأينا تطوراً يعرفه جميع المحتكين بالزراعة . فان الأتومبيل طرد الجمل والحصان طرداً يكاد يكون تاماً من ريفنا ، لأنه قام بالنقل دونهما . وليس

بعيداً أن يطرد الثور من الحرث فى بعض الأنحاء وخاصة فى العزب الكبيرة

وفى العالم طريقتان للزراعة ، إحداهما تقوم بالإعتماد على أتومبيلات الحرث والحصاد الكبيرة بحيث تصبح العزبة عشرة آلاف أو حتى مائة ألف فدان . وقد نشأت هذه الطريقة فى الولايات المتحدة وشاعت فى كندا وأستراليا حيث تتسع العقارات الزراعية ويقوم الفلاح بسهولة بزراعة مائة فدان . وهذا بالطبع لا يتيسر له إلا بالآلات الكبيرة

أما الطريقة الثانية فهى الطريقة الدنمركية حيث يملك المزارع مقداراً صغيراً من الأرض يستغله بأقصى ما يمكنه، بحيث يربى عليه الخنازير والعجول والخراف ويستخرج منه النبيذ والجبن والزبدة ويزرع فيه الخضروات والفواكه. والطريقتان متضادتان: لأن الأولى تعتمد على الآلات الكبيرة ، والثانية تعتمد على الأيدى . وتبالغ دنمركا فى الإحتفاظ بهذه الطريقة كأنها مذهب، حتى أنها تمنع اشتراك مزارعين اثنين فى زراعة أرضهما

وظنى أن الطريقة الدنمركية هى التى ستعم ريفنا. وهى بالطبع قائمة الآن ، ولكننا لا نستمتع بمزاياها . فلا نربى العجول ، ولا نستخرج الجبن والزبدة ، ولا نستنبط النبيذ . بل نحن نزرع العقارات الصغيرة بحساب العقار الكبير ، ونقنع بالقمح والذرة والقطن . وهذه محصولات يستطيع الأمريكى أن يزرعها بحساب مائة فدان لكل فلاح . ولا بد أن فلاحنا عندما ييأس من القطن

سيعمد إلى الطريقة الدنمركية ، ويعود كل فلاح صانعاً ماهراً يخرج لنا اللحم ، الذى يصدره إلى المدن ، والزبدة والجبن . وبعيد جداً أن نظن أن صناعة النبيذ ستنتشر فى الريف كما هى منتشرة فى أوربا ، حيث يصنع كل فلاح نبيذه بمنزله ، وذلك لمخالفة هذه الصناعة للإسلام

أما اننا سنيأس من القطن قريباً فهذا مما لا شك فيه . وذلك أولا لعوامل محلية ، مثل انحطاط المحصول . فإن كثيراً من الأرض كان ينتج قبل ثلاثين سنة ١١ قنطاراً من القطن للفدان . وهى لا تنتج الآن أكثر من ٣ أو ٤ قناطير . وعلاج هذا الإنحطاط ، سواء أكان بمكافحة الحشرات أم بتجفيف التربة ، يحتاج إلى مجهود كبير . وثانياً لعوامل عالمية ، هى أن القطن يتقهقر أمام الريون ، أى القماش المطبوخ . فان هذا الريون بلغ محصوله فى العام الماضى نحو ستة ملايين قنطار ، أى نحو محصول القطن المصرى . وهو يضطرد فى الزيادة . ثم أن القطن نفسه يزرع الآن بالطريقة الأمريكية فى أمريكا الجنوبية ، والمحصول يزداد عاماً بعد آخر .

هذه هى العوامل التى تجعلنا نيأس من زراعة القطن ، وظنى أنه قبل ٣٠ أو ٤٠ سنة ستزول زراعته من بلادنا . وأكبر العوامل فى زواله هو الريون الذى تستعد له الأمم الجديدة . فان استراليا مثلا تزرع من الأشجار منذ الآن نحو أربعة ملايين فدان ، ربما تزداد فيما بعد إلى عشرة أو عشرين مليوناً من

الأفدنة . وهى تفعل ذلك اعتقاداً بأن الريون سيستهلك مقداراً كبيراً من الخشب وأنه سوف يقوم مقام القطن والحرير

وقد سبق أن رأينا أن الكيمياء الصناعية الألمانية أخرجت للعالم أصباغاً مختلفة أغنتهم عن استيراد صبغة النيل الهندى . وكان الهنود يزرعون نحو مليون ونصف مليون فدان من نبات هذه الصبغة ، فكفوا عن زراعته وصاروا يستوردون الأصباغ الكيماوية الألمانية . وستكون حالنا قريباً كذلك ، فنكف عن زراعة القطن ونستورد الريون الذى يصنع من الخشب فى فرنسا وأنجلترا والولايات المتحدة واليابان إلخ

والصناعات الكيماوية تتقدم ، كما يتضح من نجاح ألمانيا وبريطانيا فى استخراج البترول من الفحم ، ونجاح روسيا فى صنع الكوتشوك وغير ذلك . فيجب أن نؤكد زوال القطن من العالم أمام الريون ، وخاصة لأن هذا القماش الكيماوى يقبل الترقية والتنويع الكثيرين حتى أنه يمكن أن نصنع مائة نوع يختلف أثمانها من قرش واحد إلى مائة قرش للمتر

وإذا زال القطن من بلادنا لا يمكن ريفنا أن يعيش بالقمح والذرة ؛ وإذن لا بد لنا فى المستقبل القريب من الإعتماد على زرع الفواكه والخضروات مع استخراج الجبن وتربية الدجاج والعجول والخراف للحومها . وبدلا من أن يعتمد المزارع على محصول القطن ، سوف يعتمد على ما يصدره إلى أوربا وسائر العالم من هذه المنتجات . وربما يعمد بعض الريفيين من

الأقباط إلى صنع النبيذ ، ولكن لا يمكن أن ينتظر انتشار هذه الصناعة فى قطر إسلامى

فزراعتنا فى المستقبل القريب هى الزراعة الدنمركية القائمة على العقار الصغير والعناية الكبيرة بالفلاحة التى تنتج الطعام والشراب من لبن وجبن ولحم . وهناك تجارب تجرى فى بعض المعامل الكيماوية لإحالة الخشب إلى طعام . وإذا نجح القائمون بهذه التجارب فانهم يقضون القضاء الأخير على الأمم الزراعية ، ولكن الأرجح أن هذا النجاح يحتاج إلى أكثر من ٥٠ سنة



مستقبل الزراعة أيضاً

لست أظن أننا، بعد أن نستزرع الأقاليم الشمالية للدلتا وبعض الأقاليم فى شرقها وغربها ، وهى الآن بطائح لا تحتاج إلا إلى العناية بالصرف ، سنستطيع استزراع شىء من الصحراء . وهذا مع العلم بأن الصحراء ليست كلها « صحراوية » فان فيها نبذاً تنبت فيها الأشجار . ويمكن مع العناية القليلة أن نستزرع النخل أو غيره فى هذه النبذ

ولكن رقينا الزراعى لن يتوقف على ما سوف نزيده من

الأرض على ما نملك الآن ، بل هو سيتوقف على الرقى الذى سنحققه فى الفنون الزراعية بحيث تصبح فنوناً دقيقة نستغل بها الأرض بأقصى ما يمكن ، فيبيع منها الفلاح المواد المصنوعة بدلا من المواد الخامة . فهو إذا ربى عجلا فلن يفعل ذلك لكى يبيعه حياً ، بل لكى يذبحه ويرسل لحمه إلى المدن . يفعل ذلك منفرداً أو عن طريق الجمعية التعاونية التى يشترك فيها . وهكذا الشأن فى سائر الأشياء . فان كل قرية يجب أن تحوى عدداً كبيراً من المصانع التى يقوم بها الأفراد أو الجمعيات التعاونية ، فتصنع الجبن والمربيات ، وتدبغ الجلود ، وتبيع للمدن البيض واللحم والدجاج المذبوح . وسنضطر بعد قليل من السنوات إلى الإنتفاع فى قرانا بالكيمياء والصناعة

فان هذه الكيمياء ، التى سوف تطرد القطن من بلادنا وتمحو زراعته من أنحاء العالم بنسيج الريون ، سيكون فيها أيضاً الدواء للزراعة كما كانت بعض الداء . وعلى كل يجب ألا ننسى أن الريون يحتاج إلى مقدار كبير من الشجر . وقد أنشىء فى انجلترا مصنع للعسل ، أى عسل القصب والبنجر . فان هذا العسل الذى يباع بالجرار للفلاحين عندنا هو من أعظم المواد الخامة ، إذ يمكن أن يستخرج منه مركبات مختلفة للصناعة . ولعل القراء يجهلون أن الألمان يستخرجون الآن من البطاطس والبنجر كئولا يستعملونه وقوداً للأتومبيلات . وتشترط الحكومة ألا يستعمل البنزين خالصاً ، إذ يجب أن يخلط بالكئول . وذلك لأن البنزين

من الواردات الأجنبية ، أما الكحول فمن مصنوعات ألمانيا . وهذا أيضاً هو ما تفعله إيطاليا التي تقدر أنها ستستغنى عن البنزين بالكحول بعد سنوات قليلة . ولن تمضى علينا سنوات طويلة قبل أن نقوم نحن أيضاً بمثل هذا العمل . فان عيون البترول المصرية لا تكفى البلاد، والمستقبل مجهول بشأن العيون الأخرى التي ينتظر أن تبجس . وعندما تتمكن من إيجاد هـذا الوقود الباقى ، يصبح الأتومبيل صديقاً للزراعة . ولن تقف الكيمياء الصناعية عند هذا الحد ، فإن حبة الذرة ستؤدى للكيماوى طائفة من المركبات التي لا نكاد نحلم بها

والمنتظر في الخمسين من السنين القـادمة أن تتخذ الزراعة فى العالم هذه الأطوار الثلاثة التالية :

١ ـ فى مصر وأوربا ستكون زراعة للعقار الصغير لاستخراج الطعام والفواكه واللحوم والكحول

٢ ـ فى أمريكا وأستراليا ستكون زراعة العقار الكبير للحبوب

٣ ـ فى الأقطار الاستوائية حيث الزنوج وأشباههم ، سترتقى الأحوال فيسود شكل من الزراعة يشبه الزراعة القائمة الآن عندنا فى مصر

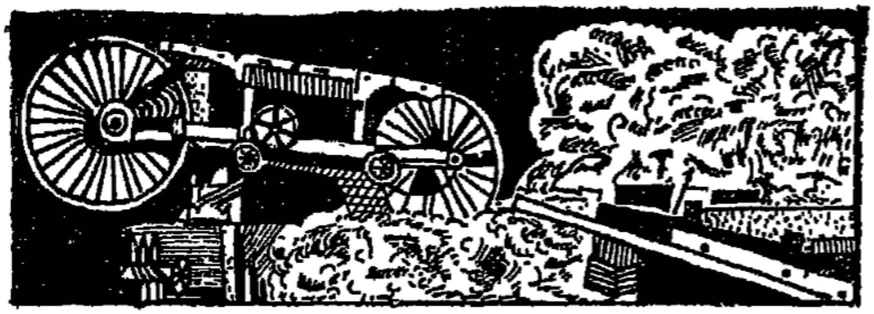
ثم ان انتشار الأتومبيل ـ والطائرة عن قريب ـ سيؤديان حتماً إلى نزوح عدد كبير من سكان المدن إلى الريف . فإن لندن تتناقص هذه السنين بمتوسط ١٠٠٠ ساكن كل عام . وذلك لأن

رب الأسرة الذى يملك أتومبيلا يجد أنه خير لصحته ، وأوفر لماله ، أن يسكن فى الحقول التى تبعد عن المدينة بنحو ٢٠ أو ٣٠ ميلا . إذ أن الهواء هناك أنقى ، والنفقات أقل مما هى الحال فى لندن . وستزداد هذه النزعة قوة باختراع الطائرات الرخيصة. وعلى ذلك يمكننا أن نقول أن عصر التكاثف والتضخم فى المدن قد مضى . وأن السكان سينساحون فى الريف معتمدين على الأتومبيلات والطائرات للنقل

وهذه الحال ستعم مصر أيضاً . بل أن كثيرين من الموظفين والمحترفين بالقاهرة يسكنون الضواحى البعيدة عنها. وعندما يعم الأمن بانسياح آخر فى الثروات ، ويزول الفقر الذى يؤدى إلى الإجرام ، يلغى قانون العزب . فيجوز لكل إنسان أن يبنى حيث يشاء فى الحقول كما هى الحال الآن فى أوربا . وعندئذ تكثر المنازل فى الريف ، فيعود إليه رواؤه ورخاؤه . لأن الأغنياء ، أو عدداً كبيراً منهم ، سيبنون منازلهم فيه . ولا بد أن أذهان المخترعين ستتجه نحو إيجاد آلات صغيرة يمكن استعمالها فى المنزل الريفى بحيث تعده لأن يكون منزلا متمدناً . هذا ، وسنذكر أنه يمكن استغلال البراز والروث لإيجاد غاز يضىء المنزل ويدير الآلات ، ويولد قوة كهربائية لتسلم الإذاعة الراديوفونية والتلفزيونية . ومثل هذه الآلات ستجعل المنزل الريفى محبوباً يجذب إليه سكان المدن

ثم ان ارتقاء الصناعات فى المدن سينقص من قيمة الأرض

الزراعية ، لأنه سيجذب الفلاحين إلى مصانع المدن فتقل الأيدى العاملة ويرتفع أجر العامل فى الريف. وستقل تبعاً لذلك إيجارات الأرض ، فلن يباع الفدان بمئات الجنيهات إلا إذا كان ممتازاً بأشجار الفاكهة الغالية . وهذا حسن. لأن غلاء الأرض الحاضر إنما يعود إلى قلة الأجور التى يتقاضاها العامل الزراعى . وقلة الأجور هذه هى السبب الأصلى للفقر المدقع الذى يخيم على الريف



فى التكهن الزراعى أيضاً

لست أشك فى أن زراعتنا القادمة ستسير على الطريقة الدنمركية ، أى العقار الصغير مع الاحتكار ، ولن تجرى على الطريقة الأمريكية ، أى العقار الكبير مع الاستغلال الآلى الكبير . وأعود إلى التبسط فى هذه النقطة لأن كثيرين يشكون فيها . فإن فى مصر مليونى مالك يملكون فداناً أو أقل من فدان. وهناك عدد آخر كبير يملكون أقل من خمسة أفدنة ، وهؤلاء هم البذرة للزراعة على الأصول الدنمركية

وقد يقال أنه يمكن بايجاد الجمعيات التعاونيـــة أن نتتبع بطريقة الزراعة الأمريكية بالآلات الكبيرة ، بحيث يترك كل مالك أرضه ويعود مساهماً فى عزبة كبيرة تبلغ مساحتها ٣٠٠٠ أو ٥٠٠٠ فدان تزرع بأضخم الآلات وتقيم المصانع الزراعية ثم توزع الأرباح كل بمقدار سهمه . ولكن المزارع المصرى يتعلق بأرضه تعلقاً حميا يحول دون نجاح هذه الطريقة فى المستقبل القريب . ثم ان قلة الأرض ، التى لن تزيد على سبعة ملايين قبل نصف قرن ، مع تكاثف السكان ، سيضطرنا إلى «احتكار» الزراعة ، أى إلى استغلالها بأقصى ما يمكن . فنحن صائرون ، إذا ساعدنا الحظ ، إلى الصيغة الدنمركية لهـذا الإحتكار . وإذا ساء الحظ ، إلى الصيغة الهندية والصينية ، حين يحتاج فلاحنا إلى الأفيون لكى يخفف ألم الجوع . .

وفى دنمركا من العبر الزراعيـة ما نستضىء به فى تطورنا الزراعى القادم ، حين نستغنى عن القطن لقلة فائدته . فان السكان فى هذا القطر الصغير لا يزيدون على ثلاثة ملايين ونصف مليون، منهم عدد كبير يعمل فى الصناعة وأرضهم لا تزيد على سبعة ملايين فدان. ومع ذلك يصدر زارعو هذه الأرض إلى بريطانيا وحدها كل عام (إحصاء ١٩٣١) من :

الزبدة بـ ٥ مليون جنيه

والبيض بـ ٤ ونصف مليون جنيه

ولحم الخنزير بـ ٢٢ مليون جنيه

ونحن قادرون على أن نصل إلى مثل هذه الحال . وقد شرعنا فيها إلى حد ما . فان « بساتين بركات » فى مديرية الشرقية تصدر موالحها إلى أوربا ، وقد زرت بنفسى عزبة المرحوم عزت شكرى (بك) ورأيت كيف أمكنه أن يستغل من فدان الموالح مائة جنيه فى العام . وفى مديرية الدقهلية بالقرب من ميت غمر قرى اختصت بغرس الكروم ونجحت فيها، حتى أن «كفر شكر» استطاع سكانه ، وهم لا يزيدون على ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف نفس ، تأسيس مدرسة ثانوية لأولادهم . وهم مع ذلك يبيعون العنب مادة خامة . وقد أسس ابراهيم نور الدين (بك) مزرعة بالقرب من الزقازيق يربى عليها نحو ٧٠ جاموسة لبيع لبنها وجبنها وزبدها .

وهذه هى الزراعة «المحتكرة» التى سوف نسير فيها على الرغم منا لأن القطن سيخذلنا . ورويداً رويداً ستمتلىء مزارعنا بأشجار الفواكه والبقول ، وسيصبح كل منزل ريفى مصنعاً للمربيات والجبن والشهد وتربية الدجاج والأرانب . ويمكن أن نسمى هذه الزراعة بالزراعة « الدقية » والفرق بينها وبين الزراعة الحاضرة كالفرق بين النجار « الدقى » ونجار « السواقى » فى الريف

بل أنى أشك فى أننا سنزرع القمح والذرة ، فإن الأقطار الجديدة مثل أستراليا وكندا وبرازيل وزيلندا الجديدة يمكنها إذا شاءت أن تغمر العالم بالقمح الذى لا يزيد ثمنه على ٥٠ قرشاً للأردب وبالذرة التى لا يزيد ثمنها على ٣٠ أو ٤٠ قرشاً . وهى

قادرة على ذلك لقلة السكان وسعة الأرض . ونحن عاجزون لكثرة السكان وقلة الأرض . وليس من الخطط الإقتصادية السديدة أن نحمى زراعة القمح والذرة عندنا بمكوس جمركية إذا كان يمكننا أن نشتريهما من هذه الأقطار بنصف ثمنهما ونزرع مكانهما فواكه أو خضروات أو نربي الدجاج ونستخرج الجبن والزبدة والمربيات والمشروبات واللحم والبيض

وإذا كان هذا النظر للتطور الزراعى عندنا صادقاً فيجب أن نوجه إليه الجهود لكى نزيل العراقيل من طريقه ونشجع عليه . كأن نمنع مثلا الوارد من الحاصلات أو المنتجات الزراعية التى يمكن الزارع المصرى أن يقوم بها ، وكذلك نبعث البعثات لدرس الصناعات الزراعية فى هولاندا ودنمركا . فان بعثة زراعية لأحد هذين القطرين أنفع لنا من عشر مفوضيات سياسية ننشئها فى الشرق أو الغرب

وذلك المعلم الذى يمكنه أن يعلم الفلاحين كيف يصنع الجبن الفلمنكى أو الرومى ، ويعمم هذه الصناعة الشريفة فى ريفنا ، لا يستحق المكافأة المالية فقط ، بل هو جدير بأن نقبل يديه اعترافاً بفضله . لأنه ينقل زراعتنا من الطور البدائى إلى الطور الفنى ، ويجعلنا نبيع السلعة المصنوعة بدلا من المادة الخامة

والزراعة مع تقهقرها أمام الصناعة لا تزال تحتفظ بكثير من الحيوية ، بل الأرجح أنها ستزداد حيوية ، لأن الصناعات ارتقت بقوة الآلات . ويبدو أن هذه الآلات قد بلغت حدها

الأقصى ، فلن يكون فيها جديد ، وكل ما يجد سيكون زيادة في الكم وليس في الكيف . أما الزراعة فإنها ستنتفع من الكيمياء الصناعية ، هذه الكيمياء التي جعلتنا نلبس الحرير من لب الخشب . وأنا أضرب مثلا واحداً على ما ينتظر الريف من هذه الكيمياء ، ولست أعتقد أننا سننتفع بهذا المثل في القريب وإن كان لا بد لنا يوماً ما من الإنتفاع به

فإن من المعروف أن إبراز الإنسان وروث الحيوان يحتويان على مواد كيماوية مختلفة بحيث يمكن استخراج غاز منهما يكون وقوداً لإدارة الآلات . ومن المرجح أن يؤلف المنزل الريفي في المستقبل بحيث يصنع له مخزن تنحدر إليه مخلفات الإنسان والماشية ، ثم يهيأ هذا المخزن بآلات لاستخراج وقود غازي يضيء المنزل ويدير المضخة ويخضخض اللبن لاستخراج الزبدة ويؤدي أعمالا أخرى كالطبخ والخبز . ومثل هذا المنزل يجعل الإقامة في الريف محببة إلى النفس

وهناك أقطار مثل بريطانيا وألمانيا والولايات المتحدة أمكنها أن تزود المنازل الريفية بالقوة الكهربائية ، وذلك لأن الفحم متوافر عندها . ولا ينتظر هذا عندنا إلا في بعض القرى القريبة من المدن أو القريبة من الشبكة الكهربائية التي تمتد في الأقاليم الشمالية من الدلتا ، أو من مساقط المياه التي ينتظر استغلالها في خزان أسوان مثلا . ولكن الشبكات الكهربائية في قطر مثل مصر كبيرة التكاليف



مستقبل الصحة

كنت أحادث ذات مرة أحد هواة الخيل الذين يعرفون من خواص العتق فيها ما نجهله ، وكنا أمام فرس شريف الطلعة رشيق الحركة ، فقال إنه ليس بشيء من العتق وإنما كل ما فيه أنه أكرم بالعلف

وهذا حق ، فإننا كثيراً ما نخطىء الصحة فنحسبها جمالا . ومعظم هذا الجمال الذى نراه فى الطبقات العالية ، وهو جمال يكاد يميزها عن الطبقات الفقيرة ، هو صحة اكتسبت بالطعام الحسن

مدة الطفولة والشباب . كما أن الدمامة التى نراها فى بعض الفقراء، أو الذين نشأوا فى بيئة فقيرة ، إنما تعزى إلى التغذية السيئة مدة الطفولة . وقلما ينال إنسان حقه من الجمال والذكاء ، والاستقامة فى الأخلاق ، إذا كان قد أهمل غذاؤه مدة الطفولة . فان هذا الإهمال يطبع طابعه مدى الحياة . ولست أعنى أن كل الجمال ، أو كل الذكاء ، يعود إلى الغذاء الصحيح الكامل مدة الطفولة . فان للوراثة شأنها ، ولصحة الغدد الصماء شأنها أيضاً . ولكن قسما كبيراً من صحة الجسم والذهن والأعصاب يعود إلى العناية بصحة الطفولة

ومعظم الصحة العامة فى أوربا ، وأكاد أقول كلها ، تعود إلى أسباب اقتصادية . والغذاء الوافر أولها . فإن الجوع لا تعرفه أوربا ، والأمراض التى تنشأ من نقص الغذاء عندنا مثل البلاجرة مجهولة جهلا تاما فى أوربا . وكان هـذا المرض إلى وقت قريب يتفشى قليلا فى الأقاليم الجنوبية من إيطاليا ، ولكنه زال عقب النهضة الفاشية التى استزرعت القاحل من الأرض وزادت الغلات

ولكن ليس الطعام الوافر كل شىء فى الصحة العامة . فان الثراء الذى تتمتع به أوربا قد أتاح لها أن تنتفع بجميع المخترعات الحديثة ، وخاصة الهندسية منها ، كمد الأنابيب للمياه النقية ونقل كساحة المنازل بأنابيب أخرى . وهذان العملان هما أعظم ما يعم الصحة بين السكان المتمدينين ، فان توافر المياه النقيـة قد شجع الناس على النظافة ومحا العدوى التى كانت تنتقل لقلة النظافة

وتلوث المياه . وشيوع الصابون الرخيص ، بالطرق الحديثة التى يستغنى بها عن الزيوت الغالية ، جعل النظافة عامة بين السكان . ولا تعزى الصحة العامة إلى كثرة العقاقير الجديدة أو الطرق العديدة للعلاجات ، وإنما تعزى إلى الثراء الذى يمكن الناس من النظافة والحصول على ماء وافر نظيف وغذاء حسن

ولست أنكر أن لهذا الثراء ضرره فى تفشى بعض الأمراض، مثل الديبيطس ، ولكن أمراض الفاقة تزيد مائة ضعف على أمراض الثراء . وهى تقتل أطفالنا بالآلاف كل عام. كما أن تفشى الحميات يعود أيضاً فى أكثره ، إن لم يكن فيه كله ، إلى أسباب اقتصادية . والبرهان على ذلك أن بعض هذه الحميات قد محى محواً تاماً من الأقطار الأوربية الغنية التى استخدمت فيها أموال الحكومة لمصلحة الأمة، كما هو الحال فى نروج وهولندا وانجلترا وألمانيا . فان القذر الذى يفشى هذه الحميات فى البيئات الفقيرة عندنا يجهل جهلا تاماً فى هذه الأقطار . وليس ذلك لأن سكانها أنظف منا بتربيتهم، بل لأنهم قادرون على النظافة ونحن عاجزون عنها . إذ أن للنظافة ثمناً لا نطيق تأديته . فاننا نبنى منازلنا إلى جوار المناقع والبرك ونترك البعوض ينشر بيننا الملاريا . ونترك فلاحنا يحفر الأرض كالقط لكى يتبرز ، فتنتشر بينه البلهارسيا والإنكلستوما . ويعيش فقراؤنا وهم عاجزون عن شراء الصابون الكافى ، فتغشاهم جيوش القمل التى تنقل إليهم حمى التيفوس . ولا نوفر الماء النظيف لبعض المنازل فتنتقل إلى

سكانها حمى الملاريا

ونبخس عمالنا أجورهم فلا يجدون الطعام الكافى ويمرضون بالتدرن . وتفشى الرمد ، الذى يؤدى كثيراً إلى العمى ، يعزى إلى قلة النظافة ، أى إلى عجز فقرائنا عن شراء الصابون. وهلم جرا

وخلاصة القول أن صحة الأمة سيئة ، وأطفالنا يموتون ، وتتفشى بيننا الحميات المختلفة ، ونصاب بالرمد، لأننا فقراء أو لأن طبقة كبيرة من السكان لا تتمتع بالثروة التى تتيح لهـا الطعام والنظافة الكافيين . وهما طعام ونظافة لا يخدمان صحتنا فقط ، بل يخدمان جمالنا . لأن كثيراً من الجمال هو فى حقيقته صحة . وإذا بقينا فى فاقتنا الحاضرة ، أو إذا بقى سواد الأمة فى الفـاقة المضنية التى يعانيها ، فان القبح والمرض سيبقيان ، بل سيبقى الموت الذى يحصد أطفالنا بالالاف كل عام

ولـكن ظنى أننا فى السنوات الثلاثين أو الأربعين القادمة سنزداد ثروة بدخولنـا فى الحركة الصناعية . وهذه الحركة ، زيادة على ما ستوفره من الطعام الكافى والمسكن الصحى ، بزيادة الثراء العام ، سوف توجهنا توجيهاً جديداً . وعندئذ تعود الموضوعات التى تهملها حكومتنا وصحفنا والرأى العـام موضوعات حيوية نشتغل بها ونهتم لها أكبر الاهتمام . فلن تنفق أموالنا على الأبهة الكاذبة بإنشاء مفوضية جديدة ، ولـكن سنعنى بتوزيع زيت السمك فى المدارس . ولن نباهى بأن رئيس الوزارة عندنا هو وسائر الوزراء ينالون من المرتبات ما لا مثيل له فى العالم إلا

فى بريطانيا الغنية ، بل نباهى بأن لفلاحنا مرحاضاً فى منزله ، وأنه حين يتبرز لا يفعل كالقط يحفر التراب ثم يهيله على برازه . بل ونفاخر ببناء المصحات والمستشفيات

هذا التوجيه الجديد سيكون ثمرة الحركة الصناعية التى تنشر بيننا ثقافة علمية تجعلنا نواجه الحقائق ، فنحاول حل المشكلات القائمة ، ونقدر على حلها ، للثراء الذى ينتظر أن يعمنا فى هذه الحركة . وبذلك سنزداد صحة وجمالا



المنزل القادم

تطورت منازلنا فى المدن فى الماضى كثيراً . ولكن تطورها فى السنين الثلاثين أو الأربعين القادمة سيكون أعظم . ثم لا بد أن يتجاوز هذا التطور المدن إلى القرى ، إذ لا يعقل أن تبقى منازل الفلاحين فى المستقبل كما كانت فى الماضى وكما لا تزال فى الحاضر رمزاً للذلة والهوان والقسوة .

والمنزل هو أول ما يتجه إليه المصلح الإجتماعى . ولذلك فإن الحكومة لا بد قائمة بنصيبها الكبير من البناء فى المستقبل

التعريب . كما أن المباراة بين الأفراد والشركات ، والتقـــدم الإقتصادى العام ، وزيادة مستوى الثراء ، كل هذا سيجعلنا نصل إلى التطورات الحديثة التى بلغها البناء فى أوربا وأمريكا

وهم فى أوربا يتحدثون الآن عن بناء الجدار بالزجاج الذى يبطن بالفلين . أى أن المنزل يبنى هيكلا من الحـديد ثم يلبس بالزجاج الذى لا تزيد ثخانته على سنتيمتر ويبطن بالفلين الذى تبلغ ثخانته ثلاثة أو أربعة سنتيمترات . ويقول المهندسون أن هذا الجدار يحتوى على جميع الميزات من حيث الوقاية من الحر والبرد والضوضاء . وأن خفته تجعل البناء سهلا . ثم يمكن صاحب المنزل أن ينقله من مكان إلى آخر كما ينقل الأثاث

وإذا صحت هـذه الفـكرة فى بناء الجدران ـ وهى لا تزال فـكرة ـ فإنها تخفف عبء البناء تخفيفاً عظيما . ولـكن شيوع هذا البناء يحتاج إلى مدة طويلة حتى تدخل الفـكرة فى حيز التنفيذ ، وربما يؤخر شيوع هذه الطريقة عندنا قلة الحديد

ولـكن ليس شك فى أننا سنستخدم الأسمنت كثيراً فى البناء. فإنه من المواد المحليـة . بل ربما نستخدمه فى فرش الطرق بدلا من الأسفلت الذى نستورده من الخـارج : كما أننا قد نقوم بتجارب مجديةفى استخدام الحجرين المتينين : البازلت والجرانيت فى فرش الطرق والبناء. وإن كانت صعوبة قطعهما لا تزال قائمة . وإذا نجحنا فى الإهتداء إلى طريقة لقطعهما ، او قطع أحدهما ، صفائح رقيقة ، لاستطعنا أن ننقل بلادنا مدناً وقرى من أسوأ

حال إلى حال المتمدنين المرفهين . بل كنا حينئذ نغبط من الأمم الأخرى على وفرة الأسمنت والجرانيت والبازلت

وليس من المنتظر أن نعرف « الشواهق » التي عرفت في الولايات المتحدة ، وهي الأبنية التي يحوي كل منها نحو ٥٠ أو ٦٠ طبقة . وقد بلغت بعض الأبنية في القاهرة عشر طبقات ، ولكني أظن أنها لن تزيد كثيراً على ذلك . وإذا زادت فسوف تكون ١٥ طبقة فقط . والبناء الحسن في مدينة المستقبل القريب هو بناء يحتوي ١٢ أو ١٥ طبقة بكل طبقة نحو ستة مساكن أو ثمانية ، يحدق به فراغ أو فضاء من الميادين والبساتين . أي أن البناء بدلا من أن يتسع أفقياً ويزحم المدينة بالجدران ، يتسع عمودياً ويترك فراغاً حوله للاستمتاع بالهواء والخلاء . ومثل هذا البناء تسكنه نحو ٧٠ أو ٨٠ أسرة تزود في الطبقة الأرضية بدكاكين مختلفة تؤدي حاجاتها

وقد شاعت بنايات جديدة في الولايات المتحدة أغلب الظن أننا سنرى منها أمثلة قريباً في بلادنا ، لأننا أحوج إليها من سكان الولايات المتحدة . وقد بنيت بالصين أولى هذه البنايات في العام الماضي . وأعظم ميزة لهذه البنايات الجديدة أنها ترفض الإعتماد على الطبيعة ، هواؤها وشمسها ؛ فهي خالية من النوافذ ، ولها سقف يحتويها ويدخل فيها الهواء بعد تنقيته من الغبار وتحديد درجته في الرطوبة والبرودة . ويدور الهواء في جميع الغرف ، ثم يخرج من السقف بمضخات . ويستعاض عن ضوء الشمس

بالمصابيح الكهربائية التى يصنع بعضها لكى تحتوى عناصر الضوء الصادرة عنه على جميع ميزات الضوء الشمسى

ومثل هذا البناء لا يدخله غبار ، ولا يحس فيه بحر أو برد . وهو بالطبع يحتوى على نحو ٧٠ أو ٨٠ مسكناً لا يسمع الساكن فيه ضوضاء الشارع ، إذ ليس هناك نافذة تنقلها إليه

ولكن مثل هذا البناء سيبقى طرفة نادرة للأغنياء ، ولن يعم المدن إلا بعد سنين لا تدخل فى حساب التكهن القريب لأنه كثير التكاليف . ولكن التطور القريب سيكون فى تعميم الخدمة الكهربائية للمنازل. فان رب البيت المصرى، الذى لا يزيد دخله على ٣٠٠ أو ٤٠٠ جنيه ، يستخدم الآن خادمين لمنزله مع أن ربة البيت الأمريكى التى يبلغ دخلها ودخل زوجها ألف جنيه لا تستخدم خادماً آدمياً واحداً . والسبب لذلك أنها هناك فى وسعها أن تطبخ طعامها وتغسل ملابسها وتكنس أثاثها وتدفىء مسكنها وتبرده بالوسائل الكهربائية . وهى بوساطة التلفون يمكنها أن تشترى أى شىء وهى قاعدة هانئة بالمنزل . أما هنا فان خدمة المنزل عبء، بل أعباء، تحتاج للخدم الكثيرين. ويكفى القارىء أن يعرف مقدار تفشى الخدمة الكهربائية إذا علم أنه قد بيع فى الولايات المتحدة أكثر من مليون آلة كهربائية لغسل الملابس

وإذن لنا أن نقول أن التطور المنتظر فى البناء سيتناول مادة البناء نفسها كما سيتناول شكل البناء .

ففى الأولى سنستخدم مواد كالأسفلت والبازلت والجرانيت، بل ربما الزجاج والفلين . وفى الثانى سنتجه نحو البناء الكبير الذى يشمخ مرتفعاً وحوله فضاء كبير يصح أن يكون ميادين للعب أو حدائق للتنزه.. وليس بعيداً أن تبنى بيننا الشواهق المقفلة يعيش فيها المترفون فيتنفسون هواء مبرداً مصفى من الغبار ولا يسمعون ضوضاء ولا يصيبهم فيها حر أو برد لأن أشعة الشمس يحال بينها وبينهم . ثم فى الوقت نفسه تزداد الوسائل الكهربائية للخدمة المنزلية فتغنينا عن الخدم الآدميين



ملابسنا القادمة

حركة العرى التى تطفو من وقت لآخر هى قمة الموجة التى تسير فى أنحاء العالم المتمدن . فان هذا العالم يعكس النظرية عن الملابس ، ويطلب التخفف منها . وهـــذا التخفف يقوم على أعتبارات صحية وحيائية يبالغ فيها بعضهم فيصل بها إلى حد العرى

فقد كان الوقار والغنى يطلبان من رجال الطبقة العالية ونسائها الاستكثار من الملابس ، كما يتضح من الرسوم القديمة التى ترى إلى الآن فى المتاحف

والقصة المروية عن أبي الطيب المتنبئ ، حين زار بغداد ، فكان يبدو لزائريه وهو فى نحو عشرة أثواب متراكمة ، تدلنا على أن الوقار كان يحسب بثقل الملابس . بل هناك من رجال الدين من كان يعزو الطيش إلى أولئك الذين يستغنون عن العمامة

ولكننا فى عصرنا الحاضر قد قلبنا النظرية ، لأننا نطلب التخفف من الملابس حتى حين نستقبح الدعوة إلى العرى . وعندى أنه إذا كانت هذه الدعوة صائرة إلى الخيبة ، فليس ذلك لأن العرى ينافى الوقار أو الحياء ، بل لأنه قبيح . ونحن لا نطيق أن نرى أجسام الناس بلا زينة تخفف من قبحهم ، والملابس هى الزينة التى تستر كثيراً من القبح والدمامة والنقص والخلل فى أعضاء الجسم . ولن تنهزم حركة العرى للحياء ، لأن الحياء عادة يمكن أن تنقح أو تبدل . والحياء مشتق من الحيا ، وهو لذلك قريب الإتصال بالعواطف الجنسية التى تحركها الملابس أكثر مما يحركها العرى

وليس هنالك شك فى أن الملابس تتصل بالعواطف الجنسية اتصالا وثيقاً ، كما يتضح من الأزياء النسوية التى تبرز بعض الأعضاء وتخفى بعضها وتجعل التأكيد فى ناحية دون سائر النواحى من الجسم . فإذا كان وزن الملابس سيقل ، فلن يكون ذلك لأن الناس سيقصدون إلى زيادة الإغراء الجنسى منها بل إلى نقصه

ولكن من الصعب أن نتخيل أنه حتى مع التربية الجدية

للمرأة فى السنين الخمسين القادمة، سينقص هذا من الاهتمام الجنسى نقصاً كبيراً عما هو عليه فى أيامنا . وإذن لا بد أن تبقى للملابس قيمتها الجنسية

ولكن إذا كان سيحدث شيء من التطور للملابس فذلك سيعود فى أكثره إلى اعتبارات صحية وصناعيـــة وليس إلى اعتبارات حيائية أو جنسية. فقد ثبت فى أذهان الجمهور المتمدن أن الصحة تنال من ضوء الشمس ، كما تنال من الطعام، كما أن هناك الإقبال العظيم على الشواطىء حيث يتعرى قسم كبير من الجسم . وأيضاً هـذه النظم الجديدة فى بناء المنازل حيث تنفذ الشمس إلى جميع الغرف. وحركة هذه المنازل وبنائها، التى تسير على أقصى سرعتها فى انجلترا ، إنما هى قائمة على هـذا النظر الجديد لقيمة الضوء الصحية. وظنى أن ملابس النساء لم تخف لهذه الإعتبارات، ولكنها وجدت ما يؤيد التخفيف فى النظريات العلمية الجديدة عن قيمة الضوء . فإن الذراعين العاريتين ، والساق التى تتجرد من الجورب ، والعنق المكشوفة ، كل هذه الأعضاء تجد الصحة فى التعرض للضوء ولا تجـده فى الاختباء تحت الأقمشة الثقيلة . وإذا كان لهذه الأعضاء المكشوفة بعض الإغراء الجنسى فإنه سوف يزول بالألفة الطويلة

ولا شك فى أن المرأة تمتاز عن الرجل بصحة ملابسها الخفيفة. ونحن الرجال ما زلنا نرهق أنفسنا بملابس ثقيلة . ولكن هذه الحال لن تطول ، فإن كم القميص قد اختزل الآن إلى النصف

وليس بعيداً أن يلغى إلغاء تاماً . كما أن الاستغناء عن الجوارب يجد من المبررات الإقتصادية ما سوف يعجله ويعممه بين الرجال كما هو عام الآن بين السيدات والأوانس والصبيان

ولكن المرأة والطفل ينتفعان بالاستغناء عن الجوارب لأن ملابسهم لا تتجاوز الركب ، أما نحن الرجال فإن البنطلون يكسو سيقاننا إلى الحذاء . وليس الإستغناء عن الجوارب هنا سوى القيمة الإقتصادية . ولذلك فإن المرجح أن يتطور البنطلون الطويل الحاضر إلى بنطلون صحي يترك الساق عارية تحت الركبة

والأغلب أن حركة الإختزال للملابس ، سواء للرجال أو النساء ، لن تقتصر على هذا القدر . ولكنها إذا تجاوزته فلن تبالغ في التجاوز ، لأن كلا من الرجال والنساء محتاج إلى الزينة بالملابس

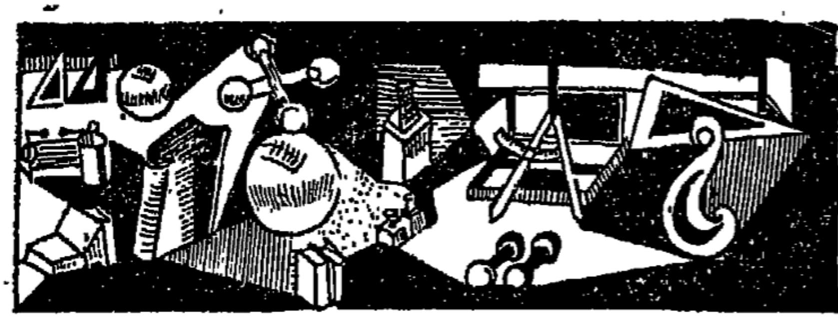
ولكن هناك تطوراً آخر سيطرأ على الملابس من الناحية الصناعية ، فإن ملابس القطن ستزول لكي تأخذ مكانها ملابس الريون ، وكذلك ملابس الصوف التي ستأخذ مكانها أقمشة كيماوية . وقبل أيام ذكرت الصحف أن الإيطاليين سيستغنون عن الصوف الخام بغزل جديد يصنعونه من اللبن

وعندي أن هذه الأقمشة لن تغنينا عن القطن والصوف ، لا لأنها ستكون أمتن منهما ، بل العكس هو الصحيح . لأن الناس في المستقبل لن يطلبوا المتانة ، بل هم سيطلبون سخافة اللباس . بحيث يمكن الإستغناء عن غسله وكيه ، فيشتري أبناؤنا أو أحفادنا

مثلا القماش بتافه الأثمان ثم يلبسونه بضعة أسابيع حتى إذا بلى نبذوه واشتروا الجديد بدلا منه

ومن هنا أظن أن الناس لن يشتروا الأقمشة لكى يقصدوا إلى الخياط ، وان يتعبوا أنفسهم فى التفصيل والقياس ، لأن سخافة القماش لا تحتاج إلى كل ذلك . بل الأغلب أنه ستعم بين الناس شكلة خاصة للعمل ، أو شكلة للرجال وأخرى للنساء ، يلبسونها ما داموا يعملون ، وشكلة أخرى للتنزه . فإذا كان الليل نزعت ملابس العمل ووضعت فى غاز معقم ، ثم تلبس فى الصباح بعد أن تكون قد نظفت نظافة علمية . أى عقمت

وهذا الذى يطرأ على الملابس من حيث قلتها قطعاً ووزناً سوف يطرأ أيضاً على مفروشات البيت . فإن التباهى بوفرة الأثاث سيزول كالتباهى بوفرة الملابس . وكذلك ستعم المنسوجات الصناعية الكيماوية أقمشة البيت من الستائر إلى المراتب إلى الأغطية المختلفة ، وستصنع من أنسجة لها قوام الكوتشوك أو المشمعات حتى يسهل مسحها وتنظيفها



الفراغ القادم

تبدأ أنواع الترف مقصورة على الأغنياء ، ثم لا تزال تتفشى حتى تنزل إلى أحط الطبقات . وهى فى هذا الإنسياح تنقل العامة إلى مرتبة الخاصة ، وتجعل الكماليات ضروريات . فإن الحرير مثلا كان من ملابس الملوك ، ثم انحدر منهم إلى الأمراء ، فالأغنياء ، فالمتوسطين ، حتى الفقراء صاروا يلبسونه أو يلبسون النوع الخام منه . وكذلك الشأن فى الذهب ، بدأ بالملوك أو بالفراعنة أولا ، ثم ما زال الطلب يزداد له حتى تفشى بين

جميع الطبقات وأصبح ضرورة بعد أن كان كمالا . وقل مثل ذلك في الأتومبيل ، الذي شرع الأغنياء يقتنونه للتأنق والتنزه ، ثم صار من ضروريات كل إنسان متمدن.

والفراغ ترف كان يتمتع به الأغنياء والأمراء والملوك، ولكنه مثل أنواع الترف الأخرى قد أخذ يتسع حتى أصبح الفقير يتمتع به . والمشاهد أنه كلما تقدمت الأمة في الحضارة الصناعية زادت أنواع الترف . فإن بعض العمال في الولايات المتحدة يتمتعون في بيوتهم بالمطبخ الكهربائي ، ويغسلون ملابسهم ويكنسون غرفهم ويبردون طعامهم بأدوات كهربائية. ولكل منهم أتومبيله . وقد كانت الفراء من ملابس الأغنياء ، ولكن السائر في شارع من شوارع نيويورك أو واشنطون يجد آلاف السيدات والأوانس وهن متلفعات بالفراء.

وهذا هو الشأن في الفراغ ، فإنه نوع جديد من الترف كان يتمتع به الأمراء والأغنياء. أما الآن فقد اتسع هذا الترف حتى وصل طبقات العمال الذين يتمتعون به في لون آخر هو العطل. فإن العاطل الإنجليزي رجل يهنأ بفراغه كما يهنأ بأربعة وخمسة جنيهات أو ستة في الشهر مكافأة تؤديها له حكومته على هذا الفراغ باسم « إعانة العطل » . وإذا نحن تأملنا هذا العطل لم نجد مفراً من أن نسميه فراغاً . فإن الحضارة الصناعية أمعنت في التقدم حتى صارت تكفي السكان طعاماً ولباساً ومسكناً دون أن تعمل المصانع طول العام . ويمكننا أن نقول في تفسير هذه الظاهرة أنه

يمكن بدلا من أن يفصل فريق من العمال ويعطلوا ، ويؤجروا على عطلهم الكامل بضعة أشهر أو أحياناً بضع سنين ، كما هي الحال الآن في ألمانيا وبريطانيا والولايات المتحدة وغيرهن ، نقول بدلا من ذلك يمكن بنظام جديد أن يعمل جميع العمال نصف الساعات التي يعملونها الآن . فان العامل في هذه الأمم الصناعية يعمل ثماني ساعات أو سبعاً في اليوم . وعمله هذا يكفي لأن يعول عاملا آخر وهو عاطل لا يعمل بتاتاً . فلماذا إذن لا يقسم العمل بين العامل والعاطل ، وتنزل ساعات العمل إلى أربع في اليوم ، وعندئذ يتمتع كلاهما بالفراغ سائر اليوم ؟

هذا هو النظام الجديد الذي ينتظر أن يعم العالم قريباً . ثم هو ليس مع ذلك الكلمة الأخيرة في النظام ، لأن الرقي الصناعي الذي جعل العطل (قل الفراغ) ممكناً إلى حد ما في أيامنا سيزداد حتى يعود العطل ، أي الفراغ ، ٢٢ ساعة في اليوم. لأن الإنتاج الكافي لجميع السكان لن يحتاج إلى أكثر من ساعتين في اليوم ، بل أقل

هذا هو الفراغ القادم الذي سوف نتمتع نحن أيضاً به في العشرين أو الثلاثين من السنين القادمة ، حين تعمنا الحركة الصناعية ويقوم الحديد والآلات الكهربائية مقام اليد العاملة

ولكن لهذا الفراغ خطره . فإننا نشأنا على أن نتعلم فنون العمل ، ونعرف قيمة الإجتهاد ، ونضرب الأمثال بنملة سليمان الحكيم ، ونتعلم في المدارس كيف نكسب عيشنا ، ولكننا لم

نتعلم فنون العطل ، أى الفراغ . ونحن حين نذكر فراغ الأغنياء نتخيل السهرات والولائم والخمور والقصف والضرب فى الآفاق ، وليالى باريس ، وقراءة القصص السخيفة والألعـــاب وسباق الخيل . وهذه هى فنون الفراغ التى نعرفها ، وهى أسوأ الفنون

وليس هذا غريباً، فإن الفراغ كان نوعاً من الترف لا يتمتع به غير الأغنياء . فلم تكن حكومة تباليه . أما الآن فقـد اتسع حتى وصل طبقات العمال ، فلا بد من العناية به ودرس فنونه . وسوف تقل هموم العيش ، ويتجه التعليم نحو إتقان فنون أخرى هى فنون العطل إلى جنب فنون العمل . بل يجب أن تأخذ الفنون الأولى التى نملأ بها عطلتنا المقام الأول فى التعليم القادم . ولا شك فى أن الراديو والسينما ، ثم التلفزيون ، وكذلك المسابقات للرياضيين أو للخيول ، سوف تملأ كثيراً من فراغنا القادم . ولـكن هذه المتع تترك الفارغ ، أى العاطل ، فى صيغة المنفعل لا الفاعل . ولا يمكن أن يقال أن فنون الفراغ ستقتصر على أن يقعد الناس متفرجين أو مستمعين ، إذ لا بد أن يتعلموا فنوناً يملأون بها فراغهم ويكون كل منهم مع ذلك عاملا فاعلا فيها

ومن هنا سوف تكثر السياحات ، فالتطواف حول العالم سيكون نزهة عامة يقوم بها الملايين من الناس جملة مرات فى حياتهم . والتصعيد فى الجبال ، سواء فى همـلايا بالهند أم فى سويسرا ، أو الرحلة إلى القطب الشمالى أو الجنوبى ، كل هـذا سيكون فى مقـدور جميع الناس تقريباً . وخاصة إذا عرفنا أن

النظم القادمة ستخرج العمال من العمل عند ما يبلغون الخمسين ، وربما يخرجون عند ما يبلغون الأربعين . وربما تجعل بعض الأمم ساعات العمل ثمان فى اليوم مدة عشر سنوات فقط ، فى حين تجعلها أمم أخرى أربع ساعات مدة عشرين سنة . وسائر العمر يقضى شطره الأول فى التعلم وشطره الأخير فى التمتع بالفراغ بعد الأربعين

ويجب لهـذا السبب أن ننتظر عناية كبيرة بالأدب والفنون الجميلة على اختلافها ، لأنها هى قبل غيرها تعد فنوناً للفراغ والخيال والإبتكار والتسلية النفسية السامية . كما يجب أن ننتظر التوسع فى البحث العلمى ، حتى يمكن كل إنسان أن يشغل نفسه بحيث لا يسأم الحياة . ولو أننا فوجئنا بفراغ عام فى مدة هذه السنين لحار كل منا كيف يملأه ، بل هذه الحيرة نراها واضحة فى الموظفين الذين تحيلهم الحكومة على المعاش إذا لم يكن الضعف والشيخوخة قد شغلاهم من السأم بالعناية الدائمة بصحتهم . وهذا يدلنا على أن هذه المتعة لم تتهيأ بعد للإستمتاع بها ، مع أن الحضارة الصناعية توشك أن تحققها لنا جميعاً وتخرجها من ميزات الأغنياء إلى حقوق الشعب .



المدارس الجديدة

تنتشر فى أنحاء العالم المتمدن « المدارس الجديدة » لإنفاذ التعاليم الجديدة التى يقول بها علماء التربية ، وخاصة أولئك الأمريكيين الذين يسترشدون بآراء « ديوى » و « ثورنديك » وأمثالهما من الإجتماعيين والسيكلوجيين . ونحن فيما يلى نذكر المبادىء التى تعمل بها المدارس الجديدة اعتقاداً بأن هذه المبادىء سوف تعم المدارس فى السنين القادمة . وهذه المبادىء تنقلها عن إحدى المدارس الجديدة فى بلجيكا ، وهى تعمل بها وتجد منها

أحسن النتائج

١ ـ ان المدرسة الجديدة فى تطور مستمر ، إذ هى تعتمد على الإكتشافات السيكلوجية الجديدة وتستغلها . كما أنها تراعى التطور المادى والروحى فتعد التلاميذ له

٢ ـ المدارس الجديدة يجب أن تكون مدارس داخلية ، لكى تستغل الوسط كله فلا تترك بعضه جزافاً . وهى لا تفعل ذلك اعتقاداً بأن النظام الداخلى للمدارس خير الأنظمة . إذ هى تعترف بأن وسط الأسرة الحسنة هو خير وسط للتربية، ولكنها ترى فى الوقت الحاضر أن الأسرة الحسنة ليست متوافرة

٣ ـ المدرسة الجديدة يجب أن تقام فى الريف . وذلك لكى يعيش التلميذ فى وسط يتيح له اللعب والعدو والقفز ، كما يتيح له غرس الأشجار والأعمال الزراعية العامة التى تساعد على تنمية كفاءاته

ولكن لأجل تربية ملكات التلميذ الفنية والثقافية يجب أن تكون المدرسة قريبة من إحدى المدن التى تزار متاحفها ومصانعها من وقت لآخر

٤ ـ يجب أن يعيش تلاميذ المدرسة الجديدة جماعات لاتزيد على ١٠ أو ١٢ تلميذاً فى بيت أحد المعلمين وزوجته . بحيث يعاشر التلميذ الزوجين، فيجد الوسط البيتى ، أى وسط الأسرة . وهو وسط لا يعرف فى المدارس الداخلية الآن لأنها تجمع التلاميذ فيما يشبه الثكنة العسكرية

٥ ـ الإعتماد فى المدرسة الجديدة على التربية المشتركة ، أى يقعد التلاميذ مع التلميذات فى الدرس ويشتركون فى جميع الأعمال المدرسية . إذ وجد أن لهذا الإشتراك أثراً حسناً فى الأخلاق والنشاط الذهنى.

٦ ـ تشترط المدرسة الجديدة على كل تلميذ أن يعمل عملا يدوياً كل يوم ساعة على الأقل . وليس الغرض من هذا العمل اليدوى حرفياً ، أى لكى يحترفه التلميذ بعد تخريجه ؛ بل الغرض أخلاق . وذلك لقيمة هذا العمل للفرد وللجماعة

٧ ـ النجارة فى رأس هذه الأعمال اليدوية . لأنها تعلم التلميذ الدقة وبراعة اليد وصحة القياس وضبط النفس. ولحرث الأرض، ولتربية الحيوانات الصغيرة ، مقام فى تاريخ البشر يجب أن يعرفه التلميذ ويروض نفسه عليه

٨ ـ إلى جانب المواد التى تعلم طبقاً للبرنامج الموضوع يجب أن يؤدى التلميذ عملا آخر عفو نفسه ، ويكون الغرض من هذا العمل تربية الذوق وتحريك النفس إلى الإختراع والإكتشاف.

٩ ـ تؤدى الثقافة الرياضية بألعاب جمبازية يقوم بها التلميذ وهو عار ، أو على الأقل لا يكسو جسمه شيء إلى الخصر . وكذلك يدرب على المباريات الرياضية

١٠ ـ خروج التلاميـــذ جماعات على الأقدام أو على البسكليتات ، ومعهم خيامهم ، يجب أن يعد ضمن التربية الحديثة. وعلى التلاميذ أن يقوموا بأنفسهم بتهيئة الطعام

١١ ـ تتوخى المدرسة الحديثة تثقيف الذهن ، بتدريب التلميذ على صحة الحكم بدلا من حشو ذهنه بالمعارف . ويعلم النقد بالطريقة العلمية : الملاحظة ، ثم تأليف الفروض ، ثم تحقيقها ، ثم وضع القاعدة. ويحصر التعليم فى نواة لدرس أحد الموضوعات، ثم يهيأ بالكتب لكى يستزيد بحثاً ومعرفة .

١٢ ـ يقوى التثقيف العام بالتخصص فى مادة . ويبدأ هذا التخصص عفواً بأن يساعد التلميذ على التوسع فى المادة التى يحبها، ثم ينظم هذا التوسع ويوجد بنية أن يكون فى المستقبل العمل الذى يحترفه التلميذ

١٣ ـ المعارف التى يتعلمها التلميذ هى معارف الحقائق والتجارب ، ويحصل عليها التلميذ بزيارات المصانع والحقول وبالعمل اليدوى . فإذا لم تتوافر هذه الأشياء ، فيجب أن يقوم مقامها الدرس فى الكتب

١٤ ـ وبهذه الطرق يتضح أن أساس التربية هو النشاط الشخصى للتلميذ . وهذا النظر يستوجب الإشتراك الحميم بين مواد التثقف والأعمال اليدوية

١٥ ـ وأساس آخر للتربية فى المدارس الجديدة هو الميل العفوى ، أى التطوعى . ويجب أن تستغل الحوادث التى تحدث بالمدرسة أو بأى مكان آخر للحديث والمناقشة

١٦ ـ يحتوى عمل التلميذ الفردى على درس الحقائق ، ببحث الأشياء والكتب والصحف وتحضير المحاضرات التى تتفق

وكفاءته بين زملائه .

١٧ ـ أما عمله الجماعى فيحتوى على تبادل الأعمال الفردية بينه وبين زملائه

١٨ ـ ينحصر إلقاء الدروس فى ساعات الصباح إلى الظهر . أما بعد الظهر فيجب ألا يزيد العمل فيه على ساعتين للمذاكرة . أما الأطفال دون العاشرة فيعفون من المذاكرة

١٩ ـ يجب ألا يعلم فى اليوم أكثر من مادة أو مادتين . والرغبة فى التغيير يجب أن تشبع فى معالجة النواحى المتعددة للمادة الواحدة ، وليس بمعالجة بضع مواد .

٢٠ ـ يجب الإقلال من المواد الدراسية التى تعلم كل شهر . وأن تستعمل بعض طرق الدرس الجامعية فى المدرسة الإبتدائية بحيث تتاح للتلميذ فرصة لأن يعين لنفسه جدول أعماله

٢١ ـ تعليم الأخلاق يجب ألا يكون بقوة السلطة التى للمعلم، بل يجب أن يصدر من التلميذ . ويمرن التلميذ على أعمال تطالبه بالأخلاق. كأن تصبح المدرسة حكومة جمهورية على رأسها الناظر . ولها جمعية مؤلفة من التلاميذ والمعلمين ، بل أحياناً يشترك معهم خدم المدرسة . وهؤلاء جميعاً يسنون القوانين لتنظيم الأعمال فى المدرسة . وهذه الطريقة من أفضل الطرق لتعليم الأخلاق

٢٢ ـ إذا وجد أن هذه الطريقة شاقة ،فإنه يمكن أن يستبدل بها تعيين التلاميذ لزعماء من بينهم يتحملون تبعة المحافظة على

النظام وسن القوانين

٢٣ - يجب أن يقوم التلاميذ مناوبة بأعمال إجتماعية مختلفة

٢٤ - المكافآت فى المدرسة الجديدة هى زيادة الفرصة للتلميذ بأن يمارس أعماله التى يحبها والتى يقوم بها من تلقاء نفسه

٢٥ - يجب أن تكون العقوبات متصلة بالعمل الذى استدعى العقوبة

٢٦ - روح المباراة عند التلميذ يجب ألا تقصر على المقابلة بين عمله وعمل إخوانه ، بل كذلك يجب أن يقابل عمله فى الوقت الحاضر بعمله فى الأوقات الماضية وبمقدار ما أحرز من نجاح

٢٧ - وسط التلميذ يجب كما تقول « الين كي » أن يكون مشبعاً بالجمال. وأول شروطه النظام . والعمل اليدوى الذى يعمله التلميذ يجب أن يفتح له باب الثقافة الفنية

٢٨ - يجب أن تعطى الموسيقا مكاناً فى المدرسة الجديدة . فيؤدى التلاميذ ألحاناً جماعات ، كما يتعلم كل منهم العزف المفرد

هذه هى مبادىء التربية الحديثة فى المدارس الجديدة التى يهنأ بها أبناء الأغنياء فى الأمم المتمدنة فى أيامنا. ولا بد أن الإصلاح الإجتماعى سينقلها ويعممها بين جميع المدارس القادمة فى المستقبل القريب



أدبنا ولغتنا وهجاؤنا

بدأ الأدب العربى الحديث ينهض بالإلتفات إلى الوراء . وهذا هو ما يجب أن يكون . لأن الأدباء فى مصر والعراق وسوريا كانوا فى حاجة إلى أن يتعرفوا مكانهم من الزمن ، وما خلفه سلفاؤهم لهم من تراث. ولذلك كثر إقبالنا على الثقافة العربية، وزاد بتوالى السنين إدماننا لدرس الأساليب العربية القديمة .. وسادنا ، أو ساد بعضنا ، وهم ، هو أننا مقصرون عن القدماء فى الأدب والأسلوب . وأننا مهما وعينا من ألفاظ اللغة ،

وتأنقنا فى الأسلوب ، فلن نبلغ ما بلغه هذا الكاتب أو ذاك أيام الدولة العباسية

وقد انتفعنا بهذا الوهم مدة ، لأنه بعثنا على نبش كل ثمين وإخراجه للنور وإفشائه بين جمهور القراء . وكان من المعقول أن يكون لهذه الحركة حد نقف عنده ، أو على الأقل كان يجب أن نساير هذه النهضة فى تاريخ الأدب العربى بنهضة أخرى فى تعريب الآداب العصرية . ولكن هذا للأسف لم يقع . فإننا ما زلنا فى ظل الآداب العربية

وهذه الاداب هى ـ بعد كل شيء ـ آداب القرون الوسطى لا تزيد . وهى متلبسة بجميع خصائص هذه القرون ، إذ كتبت للخاصة من الأغنياء والأمراء . وحسب هذا الظرف فى تأليفها سواء من حيث الأسلوب أم من حيث المادة . ولذلك هى بعيدة بعداً عظيما عن النفسية العربية المهذبة فى الأقطار الثلاثة التى شرعت فى النهضة . وهذه الأقطار ، ونعنى الطبقات المتحضرة فيها ، تجد أن ما يربطها بأدباء الغرب أكبر مما يربطها بأدباء الدولة العباسية . وهذا هو المنتظر ، لأن النظام الإقتصادى الذى نعيش فيه فى مصر والعراق وسوريا هو نفسه النظام السائد فى أوربا وأمريكا . وهو يثمر نظاماً اجتماعياً متشابهاً . وهذا بدوره يثمر نفسية متشابهة ، تطلب ألواناً من الفنون والافكار والآراء والحريات لم يعرفها قط أدباء الدولة العباسية وما أعقبها أو رافقها من دويلات

ولذلك أعتقد أن السنين القريبة القادمة ستقربنا من الأدب الأوربى والأمريكى ، وأننا سنستلهمه كثيراً فى نهضتنا الأدبية . وهذا الأدب نفسه سينزلنا إلى الشعب الذى أبعدتنا عنه دراسة الأدب العربى القديم . لأن الأدب الأوربى ليس أدب الطبقات العالية ، بل هو أدب الشعب . أى الأدب الذى يتحدث عن هموم الأم فى منزلها وبين أولادها ، وعن الإقتصاديات الصغيرة التى يهتم لها الفلاح ، وعن الحب الذى نحسب ظروفه بحساب أجرة العامل ، وعن الآمال التى يعقدها العمال بمستقبلهم ، وعن الطوبيات التى يثمرها التفكير فى المصنع والمزرعة عندما يسودهما العلم

وهذا النزول إلى الشعب سيجبرنا فى الثلاثين أو الأربعين من السنين القادمة إلى أن نأخذ شيئاً كثيراً من ألفاظ الشعب وتعابيره . ولن يكون هذا هجراناً للغة القديمة ، بل تسوية بين القديم والحديث . وكذلك لن يفصلنا اتخاذ بعض الألفاظ العامية عن الأقطار العربية الأخرى ، لأن ما سنأخذه سيكون قليلا ، وسيكون له من القيمة ما يجعل جميع الأقطار العربية تشترك فيه . وقد مضى الزمن الذى كان يخشى أن تنفصل فيه الأقطار العربية بإنفصال اللهجات . لأن انتشار الصحف بينها ، وسرعة التنقل فى أنحائها ، وكذلك إذاعات الراديوفون والسينماتوغراف ، وذيوع المؤلفات العربية ، كل هذا سيحول دون الإنفصال ، وسيعمل للتوحيد فى النطق واختيار الكلمات .

ويكفي القارىء أن يذكر كيف أن أغاني عبد الوهاب أو أم كلثوم أو نادرة أو غيرهم تنقل بلهجتها المصرية إلى بغداد وبيروت وجدة وطرابلس عن طريق الراديوفون والسينماتوغراف ، وتعمل للتوحيد في النطق بين الأقطار العربية. ولنذكر أن هؤلاء المغنين ينقلون لغتنا العامية دون الفصحى ، وهي تعم وتتفشى وترقى اللهجات العامية في دمشق وحلب وبيروت

وإلى هنا سوف يسير تطورنا في رفق بلا خصام ولا عناد . ولكنني أظن أننا سوف نصطدم بعقبة الهجاء العربي . وأننا سنضطر إلى اتخاذ الخط اللاتيني راضين أو كارهين. وربما تكون العراق السابقة إلى اتخاذ هذا الخط . فهي تتحمل ضغط تركيا من الشمال وإيران من الجنوب ، وكلتاهما قد انتهت إلى التفرنج بلا قيد ولا شرط . ونحن واهمون إذا كنا نعتقد أن إيران لا تنوي اتخاذ الخط اللاتيني ، لأن القوة الجديدة التي تشعر بها ، ومجاورتها لروسيا وتركيا، ستدفعانها إلى التفرنج بأقصى حدوده. ولا يطيق العراقيون هذا الضغط وهم سكوت . وأرجح الظن أنهم سيسبقون أقطار العالم العربي جميعها إلى اتخاذ الخط اللاتيني

وقد قلت أن القوة هي التي ستدفع إيران إلى اتخاذ الخط اللاتيني . وهذا عكس ما يفهمه جمهور القراء إذ يعتقدون أن الضعف هو الذي يؤدي إلى الإنسلاخ من التقاليد والثورة على التاريخ . ولكن الواقع أن القوة لا الضعف هي السبب لهـذا التطور . وذلك لأن إلتزام التقاليد ، الذي ينتهي إلى الجمود ،

يعود فى مرجعه إلى الخوف من الدنيا ومن المخاطرة بالمستقبل . وقد كانت تركيا جامدة فى ضعفها أيام عبد الحميد ، فأصبحت ثائرة فى قوتها لا تخشى اتخاذ الخط اللاتينى

ولكن ما الذى يدعو العالم العربى إلى اتخاذ الخط اللاتينى ؟

هو عموم الحضارة العصرية . فإن هذه الحضارة التى ولدت فى أوربا (بل فى انجلترا) هى حضارة العلم والصناعة . وهى تنمو الآن فى أنحاء العالم . وكل أمة تريد أن تتحضر يجب أن تتخذ من الثقافة العلمية أداة لرقيها الإجتماعى . وهذه الثقافة غير ممكنة فى لغتنا كما تكتب الآن بالهجاء العربى . فإننا نستطيع أن نعرب لفظة فتوغراف . ولكن جهلنا بتشريح الكلمة يضيع علينا معناها . مع أننا حين نقرأها بالهجاء اللاتينى تتضح لنا أجزاؤها فنفهم مدلولها . وهكذا الشأن فى جميع الألفاظ العلمية التى لا يكفى أن تعرب كما هى فى الأصل ، بل يجب أن تقرأ بحروفها . ثم أن نزعة التفرنج ، التى سوف نسير فيها بقوة ، ستجعلنا نتخذ القبعة ولا نعارض فى اتخاذ هذا الخط . وجمودنا الحاضر ، عند ما لا تطالبه وتدعو إليه جهات رجعية مختلفة تنتفع به ، إنما هو ثمرة الخوف والتردد . وهما بالطبع زائلان قريباً . وبزوالهما لن نخشى مجابهة المستقبل كما جابهته إيران وتركيا



التثقيف القادم

يتفشى الإصلاح فى المدارس الإبتدائية الجديدة . وإذا نحن تأملنا كنه هذا الإصلاح رأيناه يتلخص فى شيئين :

الأول ـ أن هذه المدارس تجعل الصبى يتعلم بأن يعيش . فهو لا يلقن الدرس من المعلم ويمتحن فيه ، ولكنه يعمل ، ويرشده معلمه فى عمله ، فيلتذه ويقبل عليه ويمتص المعارف التى تتصل به رويداً رويداً

والثانى ـ أنها نقلت طريقة الجامعات العليا . فالتلميذ الصغير

لا يحفظ المادة، ولا يجعل المعلم هذا الحفظ غرضه من التعليم، وإنما هو يعلمه الطريقة التي يمكنه أن يعلم بها نفسه. شأنه في ذلك شأن الطالب في الجامعة. والفرق بينهما هو فرق الدرجة فقط. فإن التلميذ يطلب منه أن يبحث بنفسه، على صغر سنه، عن المصادر التي تزيد معارفه في المادة التي يدرسها.. وقد ألفت كتب كثيرة صغيرة لإسعافه بحاجته هذه

وعلى هذا الأساس اخترعت طريقة «المشروع» للمدارس الإبتدائية. وألف «ديوى» كتبه الرائعة في فلسفة التعليم. وقد أصبح الإجتراء على نقد التعليم كبيراً جداً. فإن بين المعلمين من يتساءل: ما الفائدة من درس الجبر؟. وهل الامتحان يؤدى إلى الغاية المقصودة منه، وهى إبراز الكفاءة؟

ولا تزال المدارس الثانوية تحمل أوزار التعليم التي ورثتها عن القرون الوسطى، أى المواد الكثيرة التي تعد من الثقافة المجردة والتي لا تتصل بالحضارة القائمة. ونرى هذه الثقافة المجردة على أفدحها في المدارس اللاتينية (فرنسا وإيطاليا وأسبانيا) وعلى أقلها في المدارس الإنجليزية والأمريكية، حيث يكتفى بمواد قليلة يلتفت فيها إلى الإتقان مع العناية بثقافة الجسم وتربية الأخلاق. ولسوء الحظ وقعنا نحن في مصر في النظام اللاتيني الذي يعزى إليه فساد التعليم عندنا

وغاية التعليم هى بالطبع التثقيف وتربيـــة الذهن والجسم والأعصاب. ولا يمكن الإنسان أن يعلى من شأن الثقافة الذهنية

ويحط من شأن الثقافة الجسمية . فإن كفاءة المرء بل سعادته تتوقف على الإثنتين . وتربية الأعصاب لا تعنى شيئاً آخر سوى ترقية الأخلاق . فإننا حين نتحدث عن الشجاعة أو الأمانة أو الولاء أو القناعة أو النظافة أو الجلد ، إنما نتحدث عن حالات خاصة للأعصاب نستنير فيها بتجارب « بافلوف » الروسي و « فرويد » النمسوى أكثر مما نستفيد بمئات الكتب القديمة عن فلسفة الأخلاق والمواعظ والحكم . وربما يكون النظام الداخلى فى المدارس الإبتدائية والثانوية هو النظام الذى سوف يسود. لأنه يتيح للمشرفين عليه أن يتسلطوا على أعصاب الصبيان لتربية أخلاقهم بضبط حركاتهم ونشاطهم حتى يحدثوا فيها الإستجابات الأخلاقية المطلوبة

ثم إن الإصلاح الذى يتفشى فى المدارس الإبتدائية (الأوربية والأمريكية) سوف ينتقل إلى المدارس الثانوية . فيكون أساس التعلم الطريقة ، وليس المادة ، حتى يزود التلميذ بما يجعله طالباً مدى حياته يلتذ البحث والدرس، بل الإكتشاف والإختراع . وإذا شاعت هذه الطرق الجديدة فى المدارس أمكن الجامعات أن تتوفر على البحث العلمى ، لأن الطالب الذى يدخلها يكون قد اعتاد عادات حسنة فى الدرس تهيئه لهذا البحث. وعندئذ تكثر المواد التى تتناولها الجامعات وتقل فيها المحاضرات، لأن التجارب تأخذ مكانها

ومما لا شك فيه أن الجامعات فى حالها الراهنة منفصلة فى ثقافتها

إلى حد ما من الحضارة المحيطة بها . وسوف يتجه الإصلاح فيها فى السنين القادمة نحو زيادة الإتصال بين الثقافة والحضارة حتى يتم التفاعل بينهما . وقد رأينا فى السنوات الأخيرة هذا الإتجاه ، إذا أنشئت كليات جامعية يدرس فيها الطالب صناعات اللبن فى (انجلترا) أو إدارة الفنادق (بسويسرا) . وهذا تقدم عظيم إذا عرفنا أن جامعة أكسفورد بقيت سنوات طويلة تعارض فى إنشاء كلية للطب أو الهندسة ، لأن هذين العملين يتصلان بالعيش . وهذا الإتصال يعيب الثقافة المجردة التى ورثتها عن القرون الوسطى

وسوف تنشأ الكليات ، لهذا السبب ، بالقرب من المناجم ، وفى جوف المصانع ، بحيث يكون الطالب عاملا فى الوقت نفسه ينتج المواد المطلوبة للإستهلاك كما يجرب التجارب العلمية للإختراع والإكتشاف

ولكن المدارس والجامعات لن تكون الوسيلة الوحيدة للتثقيف . فإن الأفلام لن تبقى طويلا فى أيدى الشركات لكى تملأها بالسخف الذى تنتظر منه الربح المالى، إذ لا بد أن تستولى عليها الحكومات وتوجهها نحو التربية والتثقيف . بل لا بد أن الحكومات ستفعل ذلك أيضاً بالصحافة والراديوفون والتلفزيون.



مستقبل الصحافة

ترد إلى مصر كل أسبوع مجلة صغيرة تبلغ صفحاتها اثنتى عشرة وتباع بثلاثة قروش غير أجرة البريد . وهذه المجلة هى « سينس نيوزلتر » أى الخطاب العلمى . وترد أيضاً إلى مصر جرائد أمريكية كبيرة تزيد صفحات النسخة منها على مائة ، وهى لو قيست بقطع الأولى لبلغت ٢٠٠ أو ٣٠٠ صفحة ، ومع ذلك لا يزيد ثمنها على قرشين أو ثلاثة . وهى تباع فى مصر بثمن عال لأن أجرة البريد عالية ، إذ هى ثقيلة

فأى الصحيفتين سيتجه إليها التطور الصحفى القادم : الضخامة أم النحافة ؟

إننا هنا فى مصر نسير نحو الضخامة . بل عندنا مجلات تبلغ إحداها مائة صفحة ولا يزيد ثمنها على قرش . وعندنا جرائد لو ثنيت صحائفها لأخرجت كتاباً تبلغ صفحاته ١٢٠ أو ١٤٠ صفحة من أكبر قطع . ومع ذلك تباع بخمسة مليمات . وظنى أننا سنسير نحو التضخم فى السنوات العشر أو حتى العشرين القادمة. وليس بعيداً أن نرى بعد عام أو عامين جريدة تحتوى ٢٤ أو ٣٠ صفحة أو أكثر من ذلك . ولكن بعد هـــذه السنين العشر أو العشرين سنعود إلى الإقلال من الصحائف ، فتعود الجريدة ثمانى صفحات أو عشر صفحات قصيرة

ولتفسير ذلك نقول أن هذا التضخم الذى رأيناه فى الصحف الأوربية والأمريكية ، والذى انتقل إلى صحفنا ، إنما هو نتيجة التزاحم التجارى، تغذية الصحف ـ جرائد ومجلات ـ بالإعلانات. فلا يمكن الآن صحيفة أن تعيش بلا إعلانات ، بل هى كما قيل إعلانات قد كتب فى ظهرها مقالات وأخبار . ولو قطعت الإعلانات عن الجرائد فى مصر ، لنزلت إلى نصف قطعها الحاضر ، وكانت تنزل فى أوربا وأمريكا إلى عشر قطعها . وما دامت المزاحمة التجارية فى سبيل الاحتداد والاشتداد فى مصر، فما لا شك فيه أننا سنسير فى الصحافة نحو التضخم

ولكن هذا التضخم سيبلغ حده لأسباب مختلفة . منها أن

الجمهور سوف يسأم شراء أكداس من ورق الإعلانات بدعوى انها صحائف أخبار ، وسيطلب الجريدة الصغيرة التى يسهل تناولها

ومنها أن الثرثرة ستقل ، وليس هـذا لمـا يزعم أحياناً من الرغبة فى السرعة ، بل لأن الجمهور سيزداد فهماً وتثقيفاً فلا يحب أن يقرأ لغطاً وهذياناً وتكراراً بدعوى أن هـذه الأشياء كلام مفهوم أو كلام بليغ . ومنها أن المزاحمة التجارية نفسها ستقل ، لأن الشركات التجارية بدلا من أن يزاحم بعضها بعضاً ستتحد وتملك السوق ، فلا تحتاج إلى إعلانات . ومنها أن الحكومة نفسها ستتدخل فى الصحافة ، كما هو الشأن الآن فى بعض الحكومات الاوربية ، بحيث تكون لها رقابة أو ما يشابه الرقابة على الصحف ، كما لها الان على الراديوفون . وهى لقاء هذه الرقابة ستعاون الصحف ، ويكون لها رأى فى ماليتها وإخراجها ، وتعفيها فى الوقت نفسه من الحاجة إلى الإعلانات

لهـذه الأسباب نعتقد أن الجرائد التى نراها الان كالبلاغ أو الأهرام فى ١٢ و ١٦ صفحة ستكون بعد عشرين سنة أقل قطعاً وصفحات مما هى الان . وهى لن تمتاز بقلة الإعلانات فقط ، بل هى ستحقق من الرقى المطبعى ما يجعلها تحفة بالمقابلة إلى ما هى عليـه الان . فإنها ستطبع على ورق أبيض بحروف واضحة وصور زاهية الألوان . وسوف تجد من قرائها العديدين ما يعوضها من الإعلانات

* * *

وقد رأى القراء فى السنوات القريبة الماضية أن الجرائد اليومية أخذت من المجلات بعض خصائصها، مثل الصور وأخبار التسلية وبعض الأبحاث الجديدة . وستزداد الجرائد قوة فى هذه النزعة ، لأن الرقى المطبعى الذى أشرنا إليه سيساعدها على ذلك.

وأعظم ما تمتاز به المجلة من الجريدة فى وقتنا الحاضر أن الأولى تطبع على ورق حسن غالى الثمن . ولا يمكن الجرائد أن تستعمل هذا الورق ، لأن الإعلانات تضطرها إلى التوسع فى الصفحات مع الثمن البخس ، وهذا يقتضى شراء أسوأ الورق وأرخصه

ولكن عندما يزول عبء الإعلانات من الصحف ستعود هذه إلى استجادة المواد التى تصنع منها ورقاً وحبراً وصوراً إلخ. وكذلك ستكون مع صغر جرمها وقطعها تحفاً جميلة ، تقرأ فى لذة واستمتاع

وقد أخذ السينماتوغراف بقسم كبير من التفات الجمهور ، والأخبار التى يذيعها على المتفرجين هى من الطرافة والحداثة والجمال بحيث لا تبلغها جريدة . وهو بالطبع سائر نحو الرقى ، فيجب أن يحسب حسابه فى تطور الصحافة القادم وهو حساب ربما يكون له أثر سيء فى البداية . والواقع أن له هذا الأثر الآن لأنه جذب فريقاً كبيراً إليه كان يرجى أن يغذو الصحف بما له ويواظب على قراءتها، ولكنه لا يفضل اكتفاء بالسينماتوغراف. وكذلك الحال فى الراديوفون ، فإن له مثل هذا الأثر السيء الآن ولكن هذين العاملين الجديدين سيكون لهما أثر حسن أيضاً

فى بعث الصحف على الإبتكار لمقاومة هذه المزاحمة الجديدة.
ومن المعروف أنه ليس شيء يقوم مقام القراءة، فلن تموت الصحف لأن الجمهور سيقنع بسماع الأحاديث المذاعة، أو لأنه سيرى الأخبار مصورة وموضحة على الشاشة البيضاء، حتى ولو كانت هذه الإذاعة مزودة بأشباح المذيعين وفى انفراد المنزل الخاص.
وعندى أن كل هذا الرقى سيقتصر أثره فى أخبار الصحف على إلغاء الثرثرة، ثم تجويد الورق والطبع والصور، مع الإقلال من الصفحات حتى تصبح الجريدة اليومية أقرب إلى المجلة الخفيفة منها إلى الحصير الذى لا يسهل طيه.



اللغة العالمية

كلنا يشعر بنزعة عامة نحو التنظيم العالمى ، ومحور هذا التنظيم بالطبع هو عصبة الأمم التى تتجه إليها أنظار الأمم لفض الخلاف القائم بين الحبشة وإيطاليا . ولم تكن الحال كذلك من قبل . ومنا من يشك فى نزاهة العصبة ، ولكننا حين نفعل ذلك نكون بمثابة من يشك فى عدالة أى محكمة أخرى. أما وجود المحكمة فسلم به ، إذ هو حقيقة واقعة

والأزمة الحاضرة قد أشعرت الجميع بضرورة إيجاد نقد عام

للعالم . وقد كان الذهب، على الرغم من اختصاص كل أمة بمقدار منه، بمثابة النقد العام لأنه كان الوحدة للأثمان فى جميع الأقطار . أما الآن ، فبعد الخروج عن قاعدته ، قويت الرغبة فى إيجاد نقد تقبله جميع الأمم

ثم هناك من سرعة المواصلات ما جعل الكرة الأرضية أصغر معنوياً مما كانت . وهذا التقلص فى المسافات سيجعل الحاجة إلى التوحيد فى الحكومة والنقد وغيرهما أكبر مما كان فى الماضى . وقد جاءت السينما والراديو وسيلة جديدة لتقريب الثقافة ، وأحياناً لنشر اللغة . فهل يبعد أن ينتهى العالم إلى لغة واحدة يجعلها للتفاهم بين الأمم مع احتفاظ كل أمة بلغتها الأصلية؟

لقد فكر كثيرون فى اختراع لغة يرضاها جميع الناس . وظهرت لغة الأسبيرانتو التى توخى فيها مخترعها البساطة مع بعض الميزات التى لا تمتاز بها اللغات الأخرى ، ولهذه اللغة مجلات وكتب . وأحياناً يعقد لها مؤتمرات يحضرها الهواة الذين تحملهم حماستهم وروح البر الذى فى نفوسهم إلى الدفاع عنها لأنهم يرون فيها الوسيلة لتعميم السلام . ولكنها على الرغم من عمرها الذى أوشك أن يبلغ نصف قرن لم تتجاوز هذا الحد ، أى لم تتجاوز الهواة . وقد اخترعت لغات أخرى غيرها تنال إعجاب بعض الهواة المتحمسين أيضاً

ولكن الناس لن يتفقوا على لغة يجعلونها لغة العالم بالاختيار . ولن تنال إحدى اللغات الحاضرة أو المخترعة هذه الميزة إلا

بالاضطرار . فإن تعلم اللغة يقتضى مجهوداً لا يرضاه الناس إلا مضطرين ، ومؤملين المنفعة المباشرة التى تزيد على روح البر والرغبة فى السلام . ولا بد لهذا السبب أن تكون اللغة العالمية القادمة إحدى اللغات الحاضرة

ونظن أن أكبر عامل ينشر اللغة ، ويضطر الأجانب إلى تعلمها ، هو استعمالها فى التجارة ، أى قيمتها الاقتصادية . وهذه القيمة الإقتصادية أكبر من ناحية التعميم والنشر من القيمة الثقافية . فإن لغة الألمان حافلة بالثقافة العالية ، وبلادها تحوى من الجامعات والكتب ما يعد من الطراز الأول . ولكن الثقافة لا تكفى للإنتشار ، إذ لا بد للغة من سلطان سياسى وتجارى يهيء لها السلطان العالمى

وعندنا أن اللغة الإنجليزية هى التى سيعم انتشارها فى العالم . وذلك أولا لأنها لغة الإمبراطورية البريطانية التى تنبسط على القارات الخمس . وللإمبراطورية فى كل منها بذرة تنمو فيها هذه اللغة وتتسع بالعلاقات التجارية . وفى أقصى الشرق نجد أستراليا وزيلندا الجديدة . وهذان القطران يستطيعان استيعاب نحو مائة مليون انجليزى . ثم هناك أفريقيا الجنوبية وسائر المستعمرات الأفريقية ، وهى تستوعب مثل هذا العدد أو أكثر . ثم هناك كندا فى شمال القارة الأمريكية ، وهناك مستعمرات أخرى صغيرة متفرقة

والمتأمل لهذه الإمبراطورية ، وللأرض التى تحتلها ، يشعر

أنها كالدولة العربية فى القرن الأول للهجرة . فكما أن معظم العالم فى القرنين السابع والثامن للميلاد قد استحال إلى قطر عربى ، كذلك معظم العالم سيستحيل فى هذا القرن إلى أقطار انجليزية ، وخاصة إذا أضفنا إلى هذه الإمبراطورية الولايات المتحدة التى يبلغ سكانها نحو ١٣٠ مليون

ويسكن الإنجليز والأمريكيون أقطاراً بكراً فى مقدورها أن تستوعب من السكان ما يزيد على سكانها الحاضرين (وهم ٢٠٠ مليون) ثلاثة أو أربعة أضعاف . ولذلك فنموهم سيطرد ما دام الطعام متوافراً . وإذا فرضنا أن الإمبراطورية البريطانية سينحصر مدها فإن الولايات المتحدة ستبقى . ويجب علينا أن نسلم بالنتيجة المنطقية لذلك ، وهى أن اللغة الإنجليزية تستعمر الأسواق أكثر مما تستعمر بريطانيا المستعمرات . وستصبح هذه اللغة عن قريب لغة التجارة فى العالم ، وتجد كل أمة نفسها مضطرة إلى تعلمها ، إن لم يكن من سلطان الإنجليز التجارى والسياسى فمن سلطان الامريكيين أو سلطانهما معاً

ولا عبرة بأن يقال أن الثقافة الحقة فى اللغة الألمانية أو الفرنسية أو الإيطالية، فإن الثقافة تخضع للسلطان الإقتصادى. والباعث الإقتصادى أقوى أثراً من جميع البواعث الاخرى لتعلم اللغات . ومع ذلك ليست اللغة الإنجليزية ناقصة من حيث الثقافة ، فإن ما يطبع فيها من الكتب كل يوم (أجل كل يوم) لا يقل عن مائتى كتاب . وليس فى انجلترا أو الولايات المتحدة

مدينه صغيرة إلا ولها مكتبة عامة. وأينما حل الإنجليز فى مستعمرة جديدة تجد حركة ثقافية حتى فى جرائدهم . ويصل إلى القاهرة بالطائرة من أفريقيا الجنوبية كل أسبوع جرائد انجليزية يعجب المتصفح لها من قدرتها على الإحاطة بالأخبار ، والظهور بمظهر ضخم يدل على رغبة الجمهور فى القراءة

واللغة الإنجليزية ميزة السهولة فى التعلم . فإنها لغة بلا نحو ، يكتبها أبناؤها والأجانب عنها كما يتكلمون بها . والنزعة السائدة بين أبنائها إلى زيادة السهولة وليس إلى تصعيبها ، كما عرف القراء من حركة الاستاذ « أوجدن » الذى يقول بالاقتصار على ٨٥٠ كلمة انجليزية وإهمال الباقى . ولكن السهولة والصعوبة فى التعلم لا قيمة لها إلى جنب فائدة اللغة فى التجارة ، وإلى أنها لغة الامة أو الامم السائدة سيادة اقتصادية . فلو كانت أصعب اللغات لانتشرت لهذه السيادة . فإن الهنود مثلا يتعلمونها لأنهم واقعون تحت سلطان الإمبراطورية ، ولا يفكر واحد منهم فى سهولتها أو صعوبتها.

وإذن نستطيع أن نتكهن بأن اللغة الإنجليزية سوف تكون اللغه العالمية قريباً . وستكون لغة التجارة والثقافة ، يتعلمها كل فرد من أبناء الأمم المستقلة إلى جنب لغته الأصلية



الزواج والأسرة

الأسرة فى كل امة متمدنة أو كالمتمدنةهى الوحدة الإجتماعية الأساسية ، ولكن يجب أن ندخل فى كنه هذه الحقيقة لكى نعرف أنها أيضاً وحدة اقتصادية . فالرجل مع زوجته وأولاده يؤلفون شركة اقتصادية لها دخل وخرج ، ويجب أن تنجح هذه الشركة وإلا تحطم مركزها الإجتماعى . والنظام الإقتصادى فى كل مكان هو الأساس للنظام الإجتماعى . وكل طلاق لهذا السبب هو تحطيم لشركات اقتصادية صغيرة ، كما هو أيضاً تحطيم

لشركات اجتماعية

ويجب أن نعى هـذا الدرس . وهو أن المكانة الإجتماعية التى تنـالها إحدى الطبقات فى الأمة ، كطبقة العمال أو النساء أو رجال الدين أو الموظفين المدنيين أو الجنود ، هذه المكانة الإجتماعية تتوقف من ناحية الرقى أو الانحطاط على المكانة الإقتصادية . فإذا كان العامل يكسب مقداراً من المـال يكفيه لـكى يعيش العيش الحسن فإنه يحترم . ومتى احترم استطاع أن ينال حقوقاً مدنية واجتماعية لا ينالها لو كان فقيراً معدماً . ويجب ألا ننسى أن الأنجاس المنبوذين فى الهند إنما يستبق البراهمة نجاستهم بحرمانهم من التـكسب ، ولذلك فإن عجزهم الإقتصادى يؤكد لهم الفاقة . وهـذه تجلب عليهم الاحتقار وتحطهم إلى أحقر منزلة اجتماعية

وعلى هذا المنطق يمكننا أن نفكر فى مستقبل المرأة والزواج والأسرة سواء فى بلادنا أو فى غيرها . ويمكننا أن نقرر أنه حينما يرقى المركز الاقتصادى للمرأة فإن المركز الاجتماعى سـيرقى أيضاً . وأن قواعد الطلاق والزواج ستخضع للأحوال الإقتصادية العامة

والذى يلاحظ أن المرأة الأوربية قد نالت حقوقاً مدنية ودستورية وشخصية عقب خروجها إلى ميـدان العمل الحر وتكسبها . وهى تحقق من المساواة الإجتماعية بالرجل بمقـدار ما تحقق من المساواة الإقتصادية به . ومركز المرأة الإجتماعى

فى الأمم الاسكندناوية وبريطانيا والولايات المتحدة يكاد يستوى ومركز الرجل من احتراف الوظائف الكبيرة أو الصغيرة كالسفارة أو الوزارة أو الكهانة أو الوعظ فى الكنائس أو القضاء أو المحاماة أو الطب أو العمل فى مكاتب البريد أو غير ذلك . وهذا كله نتيجة المساواة الإقتصادية . وكذلك لا يكاد يكون هناك أى اختلاف بين حقوق الرجل والمرأة فى دعاوى الطلاق والحضانة والنفقة.

* * *

والحضارة الصناعية التى سادت أوربا والولايات المتحدة ، والتى أخرت الزواج وأجبرت المرأة على التكسب بالعمل الحرّ دون الإرتكان إلى الزواج، هذه الحضارة الصناعية نفسها سوف تعم بلادنا . وبمقدار عمومها سيكون لها هذا الأثر عندنا ، فى تأخير الزواج وفتح أبواب الرزق للمرأة فى العمل الحر . ومتى وصلنا إلى هذه الحال أصبح للمرأة المصرية حقوق اقتصادية جديرة بأن تكسبها حقوقاً اجتماعية كتلك التى نالتها المرأة الأوربية أو قريباً منها . وعندئذ ليس بعيداً أن نرى فى مصر طلبات نسائية تتعلق بالطلاق والزواج والرغبة فى المساواة بالرجال وغير ذلك مما هو ثمرة الاستقلال الاقتصادى . ونستطيع أن نقول أن الأسرة سوف تسير فى أوربا نحو التراخى من حيث الإقلال من القيود الحاضرة للزواج والطلاق . وسوف تسير فى مصر نحو التماسك من حيث زيادة هذه القيود . وليس

فى هـذا تناقض ، بل توافق ، من حيث النظر إلى مصلحة المرأة كما تراها هى ، لا كما نراها نحن الرجال

ونحن حين نقرر هـــذه التطورات لا نمتدحها ، كما أننا لا نطعن فيها . وإنما نستنتجها فقط من سير الحوادث وجبرية العوامل الإقتصادية التى يخضع لها الاجتماع ويسير وراءها تابعاً

ويمكن الراغب فى تحليل الأخلاق أن يجد ما سوف يؤسف له كثيراً جداً فى الأخلاق القـادمة التى سيثمرها نظام الحضارة الصناعية ، وحرية المرأة فى التـكسب ، واستقلال شخصيتها واستغنائها عن سند الرجل . وقصة « الفتاة الغلامية » التى ألفها « فيكتور مرجريت » تومىء إلينا بأشياء كثيرة تبعث على القلق. فإن هذه الفتاة تمثل المرأة التى استغنت عن الرجل وأخـذت تحقق شخصيتها فى الحب والعمل ، كما يفعـل الرجل المستقل الذى لا يفـكر فى وجوب الزواج كشرط أساسى للإستمتاع والعيش . ويمكن هذا الراغب فى تحليل الأخلاق أن يزداد تشاؤماً عندما يعرف أن الوسائل التى تستعمل لضبط التناسل قد كثرت حتى أعفت المرأة من العواقب الوخيمة التى كانت خبرتها تدل على أنها عرضة لهـــا إذا خالفت العفاف والطهر . وقد ظهرت هذه الإعتبارات جميعها فى إحصاء قريب قامت به إحدى الجامعات الأمريكية بين الطالبات . فقد سئلن ، دون أن يطلب منهن تعيين أسمائهن ، عن التعارف الجنسى وهل لهن به خبرة ، فثبت أن ٩٥ فى المائة منهن لم يكترثن للعفاف



اليوجنية وصحة السلالة

لفتت ألمانيا أنظار العالم إلى صحة السلالة بإصرارها على نقاوة الدم الآرى وإكبارها من شأن السلالة النوردية . وقد بلغت مسامع الجمهور أخبار التعقيم لبعض المجرمين والمرضى فى ألمانيا . ولكن ألمانيا لم تكن الأولى فى هذه الدعوة ، أو حتى فى ممارستها . فإن التعقيم معروف قبل نحو ٢٠ أو ٣٠ سنة فى السويد وسويسرا والولايات المتحدة . والخوف من إفساد السلالة أو الدم الآرى يبلغ أحياناً حد الجنون عند الأمريكيين ،

الذين لا يطيقون تعارفاً جنسياً بين زنجى وبيضاء ويعاقبون عليه بالإعدام العرفى الذى لا تنتظر فيه محاكمة قانونية

وليس شك فى أن السلالات البشرية ، كالأفراد ، تختلف من حيث المزاج والذكاء والصحة ، بل ربما تختلف أيضاً من حيث التعمير . وهذا إلى ميزات أخرى فى الجمال مهما اعتقدنا أنها عرفية قد انغرست بالتربية ، فإن لها من القيمة فى نفوسنا ما يتجاوز حتى قيمة الصفات الأخرى الوراثية . وقد جعلتنا ألمانيا ندرك أن للدم البشرى أو للسلالة كرامة تستحق الصيانة من الخلط السيء بالتزواج الطائش . ونقول « الخلط السيء » لأننا لا نعتقد أن كل خلط كان كذلك ، بل ربما كان بعضه مفيداً . ولكن عندما تفترق سلالتان وتتسع الهوة بينهما ، تكون نتيجة التزواج فوضى الأخلاق فى النسل الذى لا يمكنه أن ينشأ على غرار أحد أبويه بل يخرج هجيناً بينهما ، أما عندما يقل الإختلاف ، كما يكون مثلا بين أسرتين من سلالة واحدة قد باعد بينهما المناخ، فإن أغلب الظن أن التزواج يؤدى إلى أحسن النتائج ، لأن الإختلاف هنا يعود كالسم الخفيف الذى ينبه ولا يقتل ويوقظ ولا يخدر

والموضوع مع ذلك لا يزال بكراً،وقد نفاجأ فيه بمدهشات. وقد بدئت النهضة العلمية من حيث اعتبارها ثقافة تؤثر فى الأمة وتوجه حضارتها بدرس الطبيعيات . هذه الطبيعيات التى هى الأصل للحركة الصناعية القائمة فى العالم المتمدن لأنها هى التى

بعثت الاختراع للآلات . ثم جاءت بعد ذلك الكيمياء التى نرى بوادرها فى الريون والانيلين،والبترول من الفحم، والكوتشوك الكيماوى ، وما إلى ذلك . ولم نصل بعد إلى نهاية هذه النهضة الكيماوية التى ربما تكون نهايتها القضاء على مقدار كبير من المزروعات أو المنتجات الزراعية مثل القطن والصوف والسكر .

أما النهضة العلمية الثالثة فهى بلا شك نهضة بيولوجية غايتها التحكم فى الخلية الحيوانية وتأصيل الإنسان . وهذه النهضة هى التى تبعث على التعقيم ، وهى التى أوجدت العلم الذى يسمى اليوجنية

وهذا العلم يدرس علماؤه قواعد الوراثة بغية الاستنتاج الحسن ، سواء أكان للنبات أم الحيوان أم الإنسان . وهو الذى أوعز إلى العلماء فكرة التعقيم للتخلص من الناقصين، سواء أكان هذا النقص ذهنياً أم جسمياً . وهو لا يزال فى البداية يتحسس الطرق للإصلاح ويعتمد على الحقائق الواضحة دون الحقائق التى يشك فى صحتها . وهو لهذا السبب سلبى ، أى أنه يقنع بمنع التناسل عن الناقصين . وليس بين اليوجنيين من يجرؤ على القول بتشجيع الأكفاء على زيادة التناسل بقوة القانون ، وإن كانت هناك مقترحات تجرى مجرى الخواطر والمقترحات فقط . فمن ذلك مثلا مقترحات « برنارد شو » عن استنتاج السبرمان ، أى الإنسان الذى يعلو علينا بمقدار ما نعلو نحن عن القردة

ولكن هذه المقترحات لا تتجاوز الخيال الآن ، فلا ينتظر

لها درس صحيح قبل أن تتهيأ الأفكار . وربما تكون ألمانيا وسويد الأمتين الأوليتين فى التفكير فى اليوجنية الإيجابية . وقد لا يبعد أن تسبقهما روسيا بما نشأ عليه الجيل الجديد هناك من النظر المادى الصرف

ومما لا شك فيه أن تعقد النظم الإجتماعية والإقتصادية سيحتاج إلى مقدار كبير من الذكاء والأخلاق . والأمة التى سيكتب لها التفوق هى الأمة التى تحوى من الذكاء أكبر مقدار. ولذلك لا يسع أى أمة أن تهمل اليوجنية ، وأن تسمح للبله والمجرمين والمنحطين بالتناسل ، وخاصة إزاء التنبه الذى نراه فى الأمم الشمالية

تطور الحكومة

لا يمكن المتامل لاحوال الامم إلا آن يعترف بغلبة العوامل الإقتصادية فى عصرنا الحاضر، كما لا يمكنه أن ينكر أن الحكومات تتدخل فى مراقبة الأعمال الحرة أو معاضدتها . وفى أوربا الآن أربع حكومات تصرح بأنها قائمة على أسس اقتصادية ، منها ثلاث حكومات فاشية ، هن إيطاليا وألمانيا ونمسا ، وحكومة شيوعية هى روسيا . ومع التناقض فى المبادىء بين الشيوعية والفاشية تعتمد كل من هذه الحكومات على النقابة وتبنى عليها

والحكومات الأخرى ، التى ليست شيوعية أو فاشية ، تعطى الإقتصاديات أعظم جهودها . وهى تعين الأعمال الحرة بملايين الجنيهات . فالحكومة البريطانية مثلا تؤدى الملايين من الجنيهات لكى تعين صناعات الفحم والبترول الكيماوى والملاحة والسكر واللبن. وهى كغيرها من الحكومات الأوربية والأمريكية تتناول المكوس الجمركية بالزيادة والنقص لكى تعين الصناعات الوطنية . بل لقد رأينا سياسياً من المحافظين المعروفين، وهو المستر تشرشل ، يدعو إلى إيجاد مجلس اقتصادى إلى جنب مجلس العموم يختص بدرس الإنتاج والاستهلاك

وقد كان هم المفكر الإجتماعى قبل مائة أو مائة وخمسين سنة أن يحقق للأفراد حريتهم الشخصية ويكفل لهم الحقوق المدنية والدستورية ، والمساواة فى هذه الحقوق أمام القضاء . ولكن المفكر الإجتماعى فى أيامنا يحصر همه فى بحث الوسائل التى تكفل للأفراد حريتهم الإقتصادية . وذلك لأن الصناعات قد توسعت دوائرها ، وخرجت عن رقابة أصحابها وعمالها . إذ هم الآن الخاضعون لها ، وليست هى الخاضعة لهم . ومن هنا هذا العطل الذى تضربه على العمال من وقت لآخر حتى تضطر الحكومات إلى التدخل لإعانتهم . فالحكومة فى الأمة الصناعية تتدخل من ناحيتين ، الأولى إعانة الصناعات التى لا يمكنها أن تقف على رجليها بمجهودها فقط . والثانية أنها تؤمن العمال من

العطل الذى يوقعهم فيه نظام هذه الصناعات . وبكلمة موجزة نقول أن نظام الصناعات سيء من ناحيتيه ولا يمكنه أن يعيش إلا بإعانة الحكومة . ومثل هذه الحال سيكون علاجها فى العشرين أو الثلاثين من السنين القادمة أهم وأعظم ما تقوم به الحكومات

ولا يكاد يكون هناك علاج بغير الاتجاه نحو النظام الإشتراكى . أى أن تتولى الحكومات ، رويداً رويداً ، الإدارة لنظامى الإنتاج والاستهلاك . فالحكومة القادمة هى اشتراكية ، أو كالإشتراكية . ولذلك يجب أن نوطن النفس على أن أعمالا كثيرة مما تقوم به الشركات الحرة أو الأفراد سوف تقوم به الحكومات قيام الإحتكار . وفى أول هذه الأعمال التأمين من المرض والعطل والوفاة والإقعاد والإصابة . فإن الشركات تقوم ببعض هذه الطوارىء كما تقوم الحكومات ببعض آخر ولكن التفكير الإجتماعى الحديث يتجه نحو حصرها جميعها فى يد الحكومة ، تتولاها بدون أى مزاحم ، لأنها تطلب التأمين الإجتماعى وتتكفل به . وكذلك صناعة الطب سوف تصبح جميعها حكومية ، فلا يجوز للطبيب أن يمارس حرفته إلا كموظف فى الحكومة . وعندئذ تنتقل مصلحة الطبيب من الإعتماد فى الكسب على تفشي المرض إلى الإعتماد على تفشى الصحة . وكذلك بناء المنازل سيصبح مثل شق الطرق من واجبات الحكومة وحدها . وكل هذه الاعمال تقوم الحكومات المتمدينة الآن ببعضها . ولن تمضى سنوات حتى تقوم بها جميعها

أما سائر الصناعات فستدخل رويداً رويداً في يد الحكومة. وأغلب الظن أن ذلك سيكون عن طريق الإعانة لتنظيم الإستهلاك ، ثم تنتهى الحكومة بالتدخل ، وتزداد فيه ، إلى أن تستولى على العمل كله . وسيكون هذا الاستيلاء بيروقراطياً ، أى يقوم على موظفين تعينهم الدولة كما هو الحال الآن فى السكك الحديدية والتلغراف والبريد والتلفون . ولكن هذا النظام يستحيل بالتدرج إلى نظام نقابى كما هو الحال الآن فى الدول الفاشية أو كما نرى فى نقابة المحاماة فى مصر

وسيتطور معنى الديمقراطية ، من الحكم على يد الشعب ، إلى الحكم لمصلحة الشعب على أيدى الفنيين. فإن الحكومة ستزداد تعقداً وستقل حاجتها للخطابة كما تزداد حاجتها للفنون الاقتصادية والكيماوية والعلمية . وهذا تدعو الحال أيضاً إلى النظام النقابى فى صناعات كثيرة لكى يوفر لها الكفايات الفنية

وكذلك ستتطور الحكومة من النظام المركزى الذى نرى فى فرنسا ومصر إلى النظم الفرعية المستقلة التى نرى فى بريطانيا والولايات المتحدة . وهى بالطبع ستخضع فى كل ذلك للضرورات الإقتصادية التى ستكون لها السيادة ، بل الكلمة الأخيرة ، فى تقرير النظم

وهذا هو الذى سوف نراه فى أوربا . أما فى مصر فإن التطور الحكومى سيسمى فى أثر التطور الصناعى سرعة وبطئاً . فإذا أعيقت الحركة الصناعية ، أو إذا بطؤ سيرها ، فإن جميع التطورات الحكومية ستعاق أيضاً أو يبطؤ سيرها



السجون والجرائم

أحسن التفاسير للجريمة هو التفسير الإقتصادى ، أو هو على الأقل التفسير الذى يبين لنا الأسباب الحقيقية لنحو ٩٠ أو ٩٥ ٪ من الجرائم التى تقع حولنا . فإن الضيق الإقتصادى هو السبب لمعظم الجرائم . وقد يقع هذا الضيق للمتوسطين ويبعث فيهم الرغبة فى ارتكاب الجرائم ، كما نرى فى قتل الآباء للحصول على الميراث والاختلاسات فى الشركات أو المصالح الحكومية أو فى جرائم النصب والتزوير . فإن كل القائمين بهذه الجرائم تقريباً

ليسوا من الفقراء المحرومين ولكنهم فى ضيق اقتصادى تبعثه مساوىء مختلفة فى النظام الإجتماعى ، كالرغبة فى الترف والزهو وما إليهما

ولكن هل هناك من يشك فى أن طبقة الفقراء أكثر إجراماً من طبقة الأغنياء . وأن ٩٥ ./ على الأقل من المسجونين فى سجوننا قد ارتكبوا جرائمهم للفاقة التى وقعوا فيها . وأنهم لولا هذه الفاقة لما أجرموا ؟

إن هذا مما لا شك فيه . وقد دلت الإحصاءات المصرية على أنه كلما تفشت بيننا أزمة مالية ازدادت الجرائم ، فإذا زالت وعاد الرواج والرخاء قلت الجرائم . وحيث يقل التفاوت الإقتصادى ، فلا فاقة مضنية ولا ثراء بالغ كما هى الحال فى سويسرا ونروج ودنمركا مثلا، تقل الجرائم قلة كبيرة لا نكاد نتخيلها فى مصر . بل لقد ثبت أن بريطانيا، وهى تزيد فى سكانها بنحو ثلاثة أضعاف على سكاننا، لا تبلغ جرائم القتل فيها مقدار ما تبلغه عندنا . والسبب أن الحرج الإقتصادى لا يكاد يعرف هناك ، لأن الأنظمة التأمينية التى تعمل بها الحكومة البريطانية قد ألغت الفاقة أو كادت

فإذا سلمنا بأن الفاقة أو الحرج الإقتصادى يؤدى إلى الإجرام ، وأن إليه يعزى كثير جداً من الجرائم فى بلادنا ، فإن مما لا شك فيه أنه عندما ندخل فى الحركة الصناعية ، ويتوافر العيش بكثرة الإنتاج ، وتسود البلاد حركة عامة من الترفيه، فإنه

الجرائم ستقل قلتها الحاضرة فى الأقطار الاوربية المتمدينة وتستمر فى القلة كلما اطرد الرخاء وازداد

ولكن مهما زاد الرخاء ، وكثرت المسليات التى تفرج عن النفس المكبوتة، سيبقى عدد من الجرائم التى نعزوها إلى الشهوات والنزعات . وهذه لا تزال باقية فى أرقى الأمم وإن كان عددها أقل مما هو عندنا

ولكن هذه الجرائم أيضاً يعود عدد كبير منها إلى سوء التغذية ، أو إلى سوء التربية فى الصغر . وربما يعود ذلك أيضاً إلى الفقر . فإذا كان كذلك ، فالسبب هنا لا يزال اقتصادياً إلى حد ما

وذلك أن سوء التغذية فى الصغر تنشأ عنه أمراض جسمية كالكساح مثلا. ويرافق اختلال الجسم اختلال آخر فى العواطف والذهن . كالطفل الأكسح ، يتقوس ساقاه ويبرز بطنه وتعلو وجهه صفرة كريهة ، ويرافق ذلك كله نقص فى الذكاء . وكذلك المجرم الكبير ، ما أشبهه أحياناً بالطفل الأكسح مختل الجسم ومختل الذهن مضطرب السحنة زائغ النفس

ولكن أحياناً لا يكون النقص فى الغذاء ، بل فى التربية . فتنشأ مع الطفل مركبات نفسية تؤذيه مدى حياته . فالطفل المدلل ينشأ على الأنانية ، فيؤثر نفسه على الهيئة الإجتماعية ، ولا يبالى أن يضرها ما دام هو يبقى سالما . والطفل المضطهد ، الذى يكرهه أبواه ، يكره الهيئة الإجتماعية كلها . وفى هذه

المركبات وأمثالها يربى الميل نحو الإجرام

فاذا صح لدينا كل ذلك جاز لنا أن نقول أن الجرائم سوف تقل فى السنين القادمة

أولا - لأن زيادة الإنتاج واستعمال الآلات سيوفر الطعام وصنوف الخير ، فتزول الفاقة وهى العلة الكبرى للجرائم

وثانياً - سوف تؤدى وفرة الغذاء والعناية بالطفولة إلى منع الجرائم التى تثمرها قلة التغذية أى سوءها

وثالثاً - سوف تؤدى المعلومات السيكلوجية التى تزداد عاما بعد عام إلى توقى المركبات النفسية السيئة التى تغرس فى الطفولة فتبدو جرائم فى الرجولة

ولكن بعد كل هذا سيبقى مقدار من الجرائم لا يمكن تعليله. إذ هو أشبه بالتطوحات ، أو الشذوذات ، التى يقع فيها الجنين . فكم من طفل مثلا يولد بلا قحف يكسو دماغه ! . وكم من طفل يولد وهو مزين بذنب. بل هناك من يولدون بلا أعين أو تنقصهم بعض الأعضاء الأخرى . وكما يحدث هذا الشذوذ فى الأعضاء كذلك تحدث شذوذات فى النفس ، أى مجموعة العقل والغرائز والميول والنزعات . وقد رأينا فى عصرنا كيف أن أمماً كثيرة عمدت إلى التعقيم لمعالجة هذه الحالات . وظنى أن التعقيم سيكثر استعماله فى المستقبل لهذه الحالات

وأما أولئك الذين تدفعهم المركبات النفسية السيئة إلى الإجرام فسوف يعالجون بالتحليل النفسى ، حتى ينقل إليهم

نقصهم من ظلام العقل الباطن إلى الوجدان الواضح . ثم يمرنون بأعمال مختلفة تبعث فيهم روح التعاون بدل الأنانية ، وحب الهيئة الإجتماعية بدل كراهتها

وخلاصة القول أن الجرائم سوف تقل لأن الفاقة ستقل بالحضارة الصناعية التي نوشك أن ندخل في غمارها . وإذن ستقل السجون ، وتضيق ، بل تعود مستشفيات يعقم فيها أولئك الذين لا ترجى معالجتهم من شذوذهم ، ويربى فيها أولئك الذين يعلل شذوذهم بمركبات نفسية سيئة



عصبة الأمم والحرب

يجرى القتال فى الحبشة منذ أكثر من ثلاثة أشهر (١٩٣٦)، والفريقان المتقاتلان عضوان فى عصبة الأمم، ومع ذلك عجزت العصبة عن وقفهما أو عن كف الدولة المعتدية. وفى الشرق الأقصى جرى قتال بين اليابانيين والصينيين قبل سنوات، فلما أصرت العصبة على وصم اليابان بالاعتداء وخيانة العهد الذى

وقعته عندما دخلت عضواً بالعصبة تركتها اليابان واستمرت في قتالها . وهي تتحداها ولا تبالي

وقد يبدو من هذين المثالين أن العصبة هيئة ضعيفة لصيانة السلم . ولكن قليلا من التفكير جدير بأن يبدل هذا الرأى . فإن العالم مريض بالاستعمار والحرب ، وقد مضت عليه آلاف من السنين وهو يعلق المجد بالسيف ويتغنى شعراؤه بالدماء والقتل . وقد ورثنا جميعاً هذه العقلية، ومن المكابرة أن نقول أننا لا نلتذ هذه الأشعار ، أو لا نفتتن بسيرة الاسكندر أو نابليون

ومهمة العصبة هي تغيير هذه العقلية في العالم كله ، بحيث يصبح فض المشكلات بالسيف محالا بين دولتين . فاذا فرضنا أن الأمم مريضة بالعقلية الحربية ، فيجب أن نعتبر موقف العصبة الحاضر مما يدعو إلى التفاؤل ، لأنها بمثابة الطبيب الذى يقنع من المريض ببعض الشفاء وليس بالشفاء كله . وقد رسخ في أذهان الأمم أن العصبة تحمى الأمم المستضعفة أزاء المطامع الاستعمارية . وبها الآن نحو خمسين دولة منها على الأقل ٤٥ تعد من الدول الصغيرة التى تجد أن مصلحتها، بل استقلالها وحياتها ، تتوقفان على بقاء العصبة حية

والعصبة خمس هيئات هي :

١ ـ مجلس العصبة

٢ ـ السكرتيرية

٣ ـ مكتب العمل

٤ ـ محكمة الهاى

٥ ـ الجمعية العمومية

وجميع هذه الهيئات فى جنيف ، ولكن المحكمة فى هولندا . وقليل من النظر فى هذه الهيئات يدل على أن العصبة لا تختص بصيانة السلم فقط . بل تنظر أيضاً فى الصحة العامة ، والتأمين الإجتماعى ، والقضاء فى الخلافات الصغيرة أو الكبيرة بين الدول

والعصبة لا يمكن أن تختلف فى تطورها القادم عن الهيئات البرلمانية السابقة . فإذا استضأنا بالتاريخ ، ونظرنا مثلا كيف بدأ البرلمان الإنجليزى قبل نحو ٧٠٠ سنة ، ألفيناه هيئة صغيرة متعثرة قليلة الحقوق ، تربح وتخسر ، وتتقدم وتتأخر ، ولكنها بتوالى القرون ازدادت قوة حتى أصبحت القوة الوحيدة التى تقوم بسن القوانين وتشرف على الحكومة . وهكذا الشأن فى عصبة الأمم ، فإنها ستاقى حظوظاً مختلفة فى السنين القادمة . ولكن المرجح الذى يكاد يكون مؤكداً أنها جاءت لتعيش وتبقى . وأن الحاجة العامة لها بين خمسين دولة صغيرة تخشى الإعتداء ، ستكفل لها البقاء وازدياد القوة . ومن البلاهة التعامى عن هذه الحقيقة

ونحن نسمع منذ الآن من النواحى السياسية الرسمية أو شبه الرسمية مقترحات لتقوية العصبة تدل على أنه ينظر إليها كأنها الحكومة العالمية التى يجب أن تشرف على جميع الحكومات ،

كذلك المقترح الذى يقول بتسليم جميع القوات الجوية لها

ثم أن الظروف الإقتصادية الجديدة ، واختصار المسافات ، وتقارب الأمم ، وسهولة التنقل، كل هذه الاشياء ستجعل الحاجة إلى عصبة الأمم كبيرة جداً والاستمساك بها عظيما . لأن العالم يصغر ، كما يزداد فيه الاحتكاك والتبادل . ولذلك ستزداد المشكلات التى تحتاج إلى الحلول السلمية المتواليه. وبدون العصبة لا يمكن الدول ، مع هذه الظروف الجديدة ، أن تعيش فى سلم

ولا بدأننا سنجد عن قريب مقترحات تتعلق بالنقد وتوحيده بين جميع الأمم بعد الفوضى التى عانتها كل أمة فى السنوات الخمس الماضيه . ثم هذا الإصلاح نفسه يقتضى إنشاء بنك عالمى . وربما يكون أساسه بنك التسويات الحاضر . وقد رأينا كيف أن الإعتداء على ملك يوغوسلافيا فى مرسيليا قد دعا إلى التفكير فى سن قانون عام تقبله جميع الدول لمنع المؤامرات . ومثل هذه القوانين ستكثر، وتكون العصبة المقترحة لها. وسيكون فى أولها قوانين تحمى المرأة ، والعامل ، والطفل ، والنقد ، وحيوان البحر واليابسة . وليس بعيداً أن تنتقل إدارة البريد والنقل البحرى والجوى من أيدى الأمم إلى يد العصبة فى السنوات القريبة . إذ هى مولود لا بد أن يأخذ فى النمو ، وضعفه الحاضر فى الأزمة الإيطالية الحبشية هو طارىء لا بد أن يزول

فهرست

رقم الصفحة

مطبعة النهضة العربية
٨ شارع كامل صدقي - القاهرة



تميز أسلوب سلامه موسى وموضوعاته بالعلمية، وبالدأب على التغيير وطلب التجديد، وبالنظر على المستقبل. ولكن هذا كله لا يتجسد فى «حلم» أو «رؤيا» محددة إلا فى «مقدمة لطوبى مصرية» أو «نجم بعد ١٢٠٠ سنة» الفصل الأخير من كتابه «أحلام الفلاسفة» الذى نشر فى ١٩٢٥. ثم فى هذا الكتاب الكامل «الدنيا بعد ثلاثين عاماً» الذى نشر فى ١٩٣٦

وفى هذه الطبعة الجديدة من الكتاب الثانى، التى يكاد يتفق إصدارها ومرور ٣٠ سنة على ظهور الطبعة الأولى، يمكن للقارىء أن يتمعن وأن يقارن وأن يفسر، بين ما توقعه المؤلف، وما رسمه، وما آمل فيه، وبين ما انتهى إليه حال الدنيا خلال هذه الفترة الوجيزة. ولعله يستطيع أن يعود ببعض أسباب النجاح والفشل إلى المؤلف ذاته وإلى المجتمع والدنيا ذاتهما

التوزيع لجميع أنحاء الوطن العربى: سلامه موسى للنشر والتوزيع بالقاهرة والأسكندرية. مؤسسة الحلبي بالقاهرة. مكتبة الثقافة ببيروت ووكلائها بشمال أفريقيا. مكتبة المثنى ببغداد. مكتبة الحرمى بالكويت